البراهين الجلية في الرد على ضلالات المدرسة العقلية

التوحيد

زواج البارت تايم في الميزان

50 عامًا

مع مجلة التوحيد .. إبداع وريادة

القصص في القرآن الكريم وأثره في تكوين شخصية الداعية

تذكير الأخلاء بفوائد غزوة الأبواء

وسائل الشيطان لإهلاك الإنسان

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٠٢ السنة الواحدة والخمسون - صفر ١٤٣٣ هـ
الثمن ٥ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

أ.د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ بينك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

السلام عليكم

عاقبة الصدق والكذب

تحدث كعب بن مالك وصاحباه، رضي الله عنهم، بالصدق حين تخلّفوا عن غزوة تبوك بدون عذر، في الوقت الذي كذب فيه على النبي صلى الله عليه وسلم عشراتُ الناس لينجوا من سخط رسول الله، فكافأ الله كعبًا وصاحبيه بتوبة في يوم كان خير يوم مرَّ عليهم منذ ولدتهم أمهاتهم، وكافأ الله الكاذبين بأن قال فيهم شر ما قال بأنهم (رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) (التوبة: ٩٥).

وصدَق أعرابيٌّ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في طلب الشهادة برمية في نحره ليدخل بها الجنة، فجاءه السهم في نحره حيث أشار، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة والجنة. فالصدق أمانة، والكذب خيانة.

أجيبوا أيها الناس داعي الله: (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩).

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

من فضائل كلمة التوحيد	د. عبد الله شاكر	٢
باب التفسير	د. عبد العظيم بدوي	٥
شهر صفر: أحداث وتأريخ	الشيخ أحمد عز الدين	٨
زواج البارت تيم في الميزان	د. محمد عبد العزيز	١٠
أحكام متعلقة بفقه النكاح	د. عزة محمد رشاد	١٤
باب السنة	أ.د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
دراسات قرآنية	الشيخ مصطفى البصراتي	٢١
تذكير الأخلاء بفوائد غزوة الأبواء	د. سيد عبد العال	٢٤
البراهين الجلية في الرد على ضلالات المدرسة العقلية	الشيخ معاوية محمد هيكل	٢٨
صلاة المسافر	د. حمدي طه	٣٢
واحة التوحيد	د. علاء خضر	٣٦
حجاب المرأة المسلمة	د. متولي البراجيلي	٣٨
القصص في القرآن الكريم وأثره في تكوين شخصية الداعية	د. عبد الوارث عثمان	٤١
خمسون عامًا مع مجلة التوحيد	محمد محمود فتحي	٤٤
معارف الوحي	أ.د. أحمد منصور سبالك	٤٨
باب الأسرة	د. جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية	الشيخ علي حشيش	٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل	أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
الأتقياء الأنقياء	د. فيصل بن جميل غزاوي	٦١
وسائل الشيطان لإهلاك الإنسان	الشيخ صلاح نجيب الدق	٦٤
مقالات في معاني القراءات	د. أسامة صابر	٦٨
التفاؤل عنوان السعادة	الشيخ صلاح عبد الخالق	٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

مدير التحرير

إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

إدارة التحرير ||

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

من فضائل كلمة التوحيد

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله المعبود بحق دون سواه، والصلاة والسلام على سيد العابدين لربه ومولاه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.وبعد:

فقد تحدثت في اللقاء السابق عند الحديث عن الباقيات الصالحات الكلمات الأربع وعظيم قدرها، ووعدت أن أبين معنى كل كلمة منها، ليُقبل العبدُ عليها ذاكرًا لله ومُعظمًا لحدوده وعاملًا بأحكامه، وأبدأ بكلمة التوحيد لأنها أعظم وأعلى هذه الكلمات، ولها فضائل متعددة أذكر منها هنا ما يلي:

أولًا: أنها أصل الدين وأساسه: هذه الكلمة من أجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل وأنزل الكتب قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، قال ابن كثير رحمه الله: أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا، وهذا اختيار ابن جرير. (تفسير ابن كثير٤/٣٠٥).

وقال تعالى: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥)، فهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، وأول نعم الله على عباده أجمعين، حيث ذكرها ربنا سبحانه وتعالى في أول سورة النحل وهو يعدد نعمه على عباده أول نعمة، قال تعالى: «يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ» (النحل: ٢)، قال السعدي رحمه الله: عن كلمة لا إله إلا الله الواردة في الآية: «زبدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: «أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» أي: على معرفة الله وتوحيده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية». (تفسير السعدي: ٤/١٨٣).

ولابن القيم رحمه الله كلام دقيق عن منزلة هذه الكلمة، وأنها الأصل الذي يقوم عليه غيره، يقول فيه: «التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ» (المؤمنون: ٢٣)، وقال هود لقومه: «ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ» (الأعراف: ٦٥).

فالتوحيد: مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة». (مدارج السالكين: ٣/٤٦٢).

ثانيًا: إنها دعاية الإسلام: أي: دعوته التي يُدعى إليها أهل الملل الأخرى، وقد طبق ذلك النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقًا عمليًا، فقد أرسل رسالة إلى هرقل عظيم الروم يقول له فيها: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»». (البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)).

قال النووي رحمه الله: «أدعوك بدعاية الإسلام وهو بكسر الدال، أي: بدعوته وهي كلمة التوحيد». (شرح النووي على مسلم: ١٢/١١٠).

وقال ابن حجر رحمه الله: «قوله: بدعاية الإسلام» بكسر الدال، من قولك: دعا يدعو دعاية، نحو شكا يشكو شكاية، ولمسلم «بداعية الإسلام»، أي: بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم. (فتح الباري: ١/٣٨).

ثالثًا: أنها أول واجب على المكلف على الصحيح من أقوال أهل العلم: وقد دل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن، قال ابن حزم رحمه الله: «أول ما يلزم كل أحد، ولا يصح الإسلام إلا به: أن يعلم المرء بقلبه علم يقين وإخلاص، لا يكون لشيء من الشك فيه أثر وينطق بلسانه ولا بد بأن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قول جميع الصحابة وجميع أهل الإسلام». (المحلى: ج ١/٢).

وتأمل -يا طالب العلم- قوله: إن هذا قول جميع الصحابة... لتعلم أن هذا إجماع، وبناءً عليه أقول: يجب التسليم بذلك وعدم الالتفات إلى قول سواه، وقال ابن تيمية رحمه الله بعد سياقه للحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...» وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم، أن كل كافر فإنه يُدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلًا، أو مشركًا، أو كتابيًا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك. (درء تعارض العقل والنقل: ٨/٧).

ولهذه المكانة جعلها النبي صلى الله عليه وسلم أفضل وأعلى شعب الإيمان، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان». (مسلم: ٣٥).

وقد دل الحديث على أن شعب الإيمان متعددة، وأن مراتبها متفاوتة، وأن أعلاها وأفضلها كلمة: «لا إله إلا الله».

رابعًا: أنها أفضل الذكر وأحسن الحسنات: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الذكر، لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله». (أخرجه ابن ماجه في سننه وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٢/٣١٩)، كما أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي المستدرك ١/٥٠٣).

ولهذا اعتبرها الراسخون من أهل العلم بأنها أفضل الحسنات، قال ابن جرير في تفسير قول الله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» (النمل: ٨٩).

يقول تعالى ذكره: من جاء الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنًا بها قلبه، فله من هذه الحسنة عند الله خير

يوم القيامة. ثم ساق عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما أن المراد بالحسنة: «لا إله إلا الله». (انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٠). ولهذا عدَّها النبي صلى الله عليه وسلم أنها خير ما قاله والنبيون من قبله، كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١٨٤/٣).

خامسًا: أنها الكلمة التي جعلها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في عقبه:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٨)، وقد ذكر الإمام الحافظ ابن جرير رحمه الله عن مجاهد وقتادة أن الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عقبه هي: «لا إله إلا الله». (تفسير الطبري: ٣٨/٢٥). كما ذكر أن البعض قال: هي الإسلام، ولا تعارض بين القولين، لأن الإسلام هو التوحيد وأول أركانه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان وهي: «لا إله إلا الله». (تفسير ابن كثير: ١٦٢/٤).

وإنما جعلها إبراهيم باقية في عقبه، لأنه تسبب لذلك بأمرين:

الأول: وصيته لأولاده بذلك، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣١-١٣٢).

والأمر الثاني: أنه كان يسأل ربه لذريته الإيمان والصلاح، كما ذكر الله عنه: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ (إبراهيم: ٤٠). كما توجه وابنه إسماعيل إلى الله بهذا الدعاء: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (البقرة: ١٢٨). (انظر: أضواء البيان: ٢٣١/٧-٢٣٢).

سادسًا: أنها أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل يستخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمتك كتبتي الحافظون، قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذرًا أو حسنة، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، فإنه لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء». (أخرجه أحمد في «مسنده» ٢١٣/٢، وصححه الألباني في «الصحيحة» ٢١٢/١).

وقد دل الحديث على مكانة وفضل هذه الكلمة، وأن العبد ينجو بها يوم القيامة، وأن أعمال العباد توزن بميزان يوم القيامة، وأن الميزان له كفتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضًا فإنها توزن بقدرة رب العالمين، وقد صدق بذلك أهل السنة والجماعة واعتقدوه، ومن فضائل هذه الكلمة أن أسعد الناس بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم من قالها خالصًا من قلبه، وقد صحت الأحاديث بذلك.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بهذه الكلمة، وأن تكون آخر ما ننطق به في الدنيا، والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْعَنكَبُوتِ

الحلقة السادسة

قال الله تعالى:

« قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) »

(العنكبوت: ٣٠- ٣٧).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

دعاء الأنبياء على أقوامهم بعد إعلان إصرارهم:

قال الله تعالى في شأن بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم: « قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ »، قال بعض السَّلف: ما دَعا نبيٌّ على قومه إلَّا بعْدَ ما أيْقن أنَّ عدَمَهُمْ خيْرٌ منْ وُجودهمْ. فطالما كانَ يَرجُو منْهُم الْخيْرَ لا يدْعُو علَيْهمْ، فإذا أعْلنوا إصْرارَهمْ على عصْيانه، واسْتكْبارَهُمْ عن اتِّباعه، دَعا علَيْهمْ.

وأوَّلُ منْ دَعا على قوْمه نُوحٌ عليه السلام، ولمْ يدْعُ علَيْهمْ إلَّا بعْدَ أنْ تَواصَوْا بالتَّمسُّك بآلهتهمْ وعَدم اسْتجابَتهمْ لَهُ عليه السلام، قال تعالى: « قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا » (نوح: ٢١-٢٨).

وكَذلكَ دَعا مُوسَى عليه السلام علَى فرْعَوْن وقوْمه لَمَّا صرَّحُوا بعَدم اتِّباعه، قال تعالى: « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ » (الأعراف: ١٣٠-١٣٢)، فدعا عليهم كما قال تعالى: « وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» (يونس: ٨٨).

حلم نبينا صلى الله عليه وسلم:

أمَّا نبيُّنا مُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم فلَمْ ييأسْ منْ قومه، ولذلك لم يدعُ عليهم، مع اضطهادهم له وإيذائهم إياه:

عنْ عائشة رضيَ الله عنها أنها قالتْ: للنبيِّ صلى الله عليه وسلم هلْ أتى عليك يَوْمٌ كانَ أشدَّ منْ يوم أحُد؟ قال: «لقدْ لقيتُ منْ قومك ما لقيتُ، وكانَ أشدُّ ما لقيتُ منْهُمْ يومَ العقبة، إذْ عرضْتُ نفسي على ابْن عبْد ياليل بْن عبْد كلال، فلمْ يُجبْني إلى ما أردْتُ، فانطلقْتُ وأنا مهْمُومٌ على وجْهي، فلمْ أسْتفقْ إلاَّ وأنا بقرْن الثَّعالب، فرفعْتُ رأسي، فإذا أنا بسحابة قدْ أظلَّتْني، فنظرْتُ فإذا فيها جبْريل فناداني، فقال: إنَّ الله قدْ سمع قوْل قوْمك لك، وما ردُّوا عليْك، وقدْ بعث إليْك ملك الجبال لتأْمُرهُ بما شئْت فيهمْ، فناداني ملكُ الجبال، فسلَّم عليَّ، ثُمَّ قال يا مُحمَّدُ، فقال: ذلك فيما شئْت، إنْ شئْت أنْ أُطبق عليْهم الأخْشبيْن، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: بلْ أرْجو أنْ يُخْرج الله منْ أصْلابهمْ منْ يعْبُدُ الله وحْدهُ لا يُشْركُ به شيْئًا». (صحيح البخاري: ٣٢٣١).

إهلاك القوم:

«ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين»:

لَمَّا دعا لُوطٌ عليه السلام على قوْمه، اسْتجاب الله لهُ، وأنْزل الملائكة لإهْلاكهمْ، فجاءت الملائكةُ إبْراهيم عليه السلام تُبشِّرُهُ بالذُّرِّيَّة الصَّالحة، وتُعْلمُهُ بإهْلاك قوْم لُوط، وقدَّمت البشارة منْ باب «إنَّ رحْمتي سبقتْ غضبي» (صحيح البخاري ٧٤٢٢).

قال العُلماءُ: لمَّا بشَّرُوهُ لمْ يُعلِّلوا، ولمَّا أعْلمُوهُ بإهْلاك القوْم ذكرُوا علَّة الهلاك وهي الظُّلْمُ. قالوا: لأنَّ البشارة كانتْ من الله فضْلاً، فلا علَّة لها. وأمَّا الهلاكُ فكان من الله عدْلاً، بسبب ظُلْمهمْ.

«قال إن فيها لوطا» فأنْستْهُ الرَّحْمةُ التي جُبل عليْها، وخوْفُهُ على ابْن أخيه لوط، وهو الذي آمن معهُ، فرْحة البُشْرى، فبادر بقوْله: «قال إن فيها لوطا»! فكيْف تُهْلكون هذه القرْية وهُو فيها؟! وسُنَّةُ الله في إهْلاك الظَّالمين أنْ يُخْرج نبيَّهُمْ منْ بيْنهمْ أوَّلاً؟! «قالوا نحن أعلم بمن فيها» فاطْمئنَّ ولا تخف، «لننجينه وأهله» الَّذين آمنُوا معهُ، «إلا امرأته» فقدْ كفرتْ به وخانتْهُ، ولذلك «كانت من الغابرين» أي الباقين في القرْية لتهْلك مع الهالكين.

«ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم» أي ساءهُ مجيئُهُمْ، لأنهُ رآهُمْ رجالاً حسانًا، وهُو يعْرفُ ما عليْه قوْمُهُ منْ إتْيان الفاحشة، فخاف على ضيْفه منْ قوْمه، «وضاق بهم ذرعا» قال العُلماءُ: هذا تعْبيرٌ عن العجْز وعدم الطَّاقة والقُدْرة. يُقالُ: رحُب ذرْعُهُ، إذا اتَّسعتْ طاقتُهُ، وعظُمتْ قُدْرتُهُ. وضاق ذرْعُهُ، إذا قلَّتْ حيلتُهُ، وضعُفتْ قُدْرتُهُ، ولذلك لمَّا جاءهُ قوْمُهُ، وخاف على ضيْفه، « قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» (هود: ٨٠). فلمَّا رأت الملائكةُ قلق لُوط عليه السلام وفزعهُ كشفُوا لهُ عنْ هُويَّتهمْ ليطْمئنَّ عليْهمْ، وبشَّرُوهُ بنجاته وإهْلاك قوْمه، « قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» (هود: ٨١)، وهُنا قال الله تعالى: « وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ».

قال الله تعالى في وصْف إهْلاكهمْ: « فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا

«جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (٨٢) مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد» (هود: ٨٢، ٨٣).

أسباب هلاكهم:

وحين نتدبر الآيات نرى فيها الصفات التي كانت سبب هلاك القوم وهي: الفساد: «قال رب انصرني على القوم المفسدين»، والظلم: «إن أهلها كانوا ظالمين»، والفسوق: «إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون». فالفساد، والظلم، والفسوق، من أعظم موجبات العذاب، «فاعتبروا يا أولي الأبصار» (الحشر: ٢). فإن الله تعالى جعل إهلاك تلك القرية آية، فقال: «ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون»، ولقد عاب الله تعالى على قريش أنهم يمرون بهذه القرية ولا يعتبرون بما أصاب أهلها، فقال تعالى: «وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون» (الصافات: ١٣٣-١٣٨)، كما أنكر على الظالمين الذين يسكنون مساكن الظالمين «ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون» (التوبة: ١٢٦). فقال تعالى: «وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٤٤) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال» (إبراهيم: ٤٤، ٤٥) فلم تعتبروا ولم تتفكروا.

قصة شعيب عليه السلام:

«وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين»:

دعوته عليه السلام قومه إلى عبادة الله:

«وإلى مدين أخاهم شعيبا» معطوف على بداية هذا القصص، وهو «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه»، أي ولقد أرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا، «فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر» الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي خافوا العذاب المهين الذي أعده الله للكافرين في اليوم الآخر، كما قال تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» (لقمان: ٣٣)، وقال تعالى: «واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون» (البقرة: ٤٨)، وقال تعالى: «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» (البقرة: ٢٨١).

نهيه إياهم عن الفساد في الأرض:

وقوله: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد، ومن إفسادهم في الأرض الشرك، فإن الأرض لا تصلح إلا بالتوحيد، ومن إفسادهم في الأرض صدهم الناس عن التوحيد، ومن إفسادهم في الأرض بخس الناس أشياءهم، وقد صرح شعيب عليه السلام بنهيهم عن هذا كله، كما قال تعالى: «والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين × ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين» (الأعراف: ٨٥، ٨٦).

إهلاك القوم:

ولكن القوم لم يكونوا أحسن حالا من سابقيهم، ولم يعتبروا بما أصاب المفسدين من قبلهم، «فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين». وهكذا أجمل الله تعالى قصة شعيب في آيتين كما فعل في أول القصص، في قصة نوح عليه السلام.

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

شهر صفر: أحداث وتأريخ

إعداد | أحمد عز الدين محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: فإن شهر صفر وقع فيه العديد من الأحداث الكبرى في تاريخنا الإسلامي نذكر منها ما يلي:

أولا: زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

قال محمد بن إسحاق بن يسار: عقب خمس وعشرين يومًا من صفر سنة ستة وعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وتم العقد في حضور بني هاشم ورؤساء مضر، وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلًا، وهي أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم، ولدت له القاسم وبه كان يُكنى، ثم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله الذي كان يلقب بالطيب والطاهر، وقد مات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته سوى فاطمة رضي الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر ثم لحقت به. (فتح الباري، وابن هشام).

ثانيا: وفي صفر سنة ١٤ من البعثة خرج مهاجرا إلى المدينة بأمر من الله عز وجل ومعه أبو بكر رضي الله عنه يوم السابع والعشرين من صفر سنة ١٤ من النبوة.

وفي صحيح البخاري أنهما كانا في غار ثور ثلاث ليال الجمعة والسبت والأحد، وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما. قالت عائشة: وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل-وهو لبن منحتهما ورضيفهما- حتى يلحق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك كل ليلة، وكان عامر يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر، بعد ذهابه إلى مكة ليزيل أثره، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط المديني، وكان هاديًا خريتًا، وكان على دين قريش إذ ذاك وسلما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال حتى يخمد الطلب، ودوريات التفتيش عنهما من كفار قريش.

وقد قرب أبو بكر أفضل الراحلتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بالثمن يا أبا بكر"، وتأتيهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بسُفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصامًا فلما ذهبت لتعلق السفرة على الراحلة فإذا ليس لها عصام، فشقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحدة وانتطقت بالآخر فسميت: ذات النطاقين. (صحيح البخاري). ثم تمت الهجرة، وعصم الله عز وجل نبيه وصاحبه حتى وصل إلى المدينة، وأعز الله الدين وأهله بذلك.

ثالثا: غزوة الأبواء أو ودّان:

بالفتح والتشديد وهو موضع بين مكة والمدينة، وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في سبعين من المهاجرين خاصة يعترض عيرًا لقريش ثم بلغ الأبواء فلم يلقَ كيدًا، وقد استخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه، وفيها عقد معاهدة وحلف مع سيد بني ضمرة عمرو بن مخشر الضمري، وهذه هي أول

غزوة غزاها وكانت غيبته عن المدينة خمسة عشر ليلة، وكان اللواء أبيض وحامله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

رابعا: غزوة ذي أمر في صفر سنة ٣هـ:

وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أحد وفيها أن النبي قد علم أن جمعًا كبيرًا من بني محارب وثعلبة تجمعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فندب عليه الصلاة والسلام المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي الطريق قبضوا على رجل يقال له: جبار من بني ثعلبة، فدعاه النبي إلى الإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال رضي الله عنه، وصار دليلاً للجيش الإسلامي إلى أرض العدو، ولما علم الأعداء بقدوم المسلمين تفرقوا في رؤوس الجبال، ولما وصل النبي إلى مكان جمعهم وهو الماء المسمى «بذي أمر». فأقام هناك صفرًا كله سنة ٣هـ، ليُشعر الأعراب بقوة المسلمين ويستولي عليهم الرعب، ثم رجع إلى المدينة، ويذكر أن محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم من قبل غورث بن الحارث كانت في هذه الغزوة، والصحيح أنها غير هذه الغزوة، واسمها ذات الرقاع أو نجد. (انظر: صحيح البخاري).

خامسا: في صفر سنة ٤هـ سرية الرجيع:

وقد حدث أن عضل وقارة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يبعث معهم من يُعلمهم الدين ويُقرئهم القرآن، وكما قال البخاري رحمه الله في صحيحه: أرسل معهم عشرة وأمّر عليهم عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، فلما كانوا بالرجيع مكان ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجدة استصرخوا عليهم حيًا من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بمائة رام ومقاتل حتى لحقوهم فغدروا بهم وقتلوهم خيانة وغدرًا إلا ثلاثة منهم خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وابتاع صفوان بن أمية زيدًا رضي الله عنه وقتله بأبيه، وانطلقوا بخبيب الذي مكث عندهم سجينًا ثم أجمعوا على قتله فخرجوا به إلى التنعيم، فلما أرادو صلبه قال: دعوني حتى أركع ركعتين لله فصلاهما، ثم دعا عليهم فقال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبْق منهم أحدًا"، وقال له أبو سفيان: "أيسرك يا خبيب أن محمدًا عندنا يضرب عنقه وأنت في أهلك؟". فقال: والله لا يسرني أني في أهلي، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم تصيبه شوكة تؤذيه ثم صلبوه، وتم قتل العشرة كلهم به.

سادسا: في صفر سنة ٤هـ: مأساة بئر معونة:

وهي أشد وأفظع من الرجيع، وملخصها أن أبا براء مالك بن عامر سيد بني عامر الملقب بملاعب الأسنة قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام، فقال: أخشى على أصحابي أهل نجد. فقال: أنا جارٌ لهم. فبعث معه كما جاء عند البخاري سبعين، وأمّر عليهم المنذر بن عمرو من بني ساعدة الملقب «بالمعنق للموت»، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم (وهم القراء) أي العلماء، حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بني عامر وحدة بني سليم: مكان حرام بن ملحان خال أنس بن مالك وهو أخو لأم سليم معه رسالة من رسول الله إلى عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيها وأمر رجلاً فطعن حرام بحربة من خلفه غدرًا، فثارت منه الدماء فقال حرام: "الله أكبر! فزت ورب الكعبة"، واستشهد من فوره.

ثم استنفر عبد الله بني سليم فأجابته رعل وعصية وذكوان فجاءوا حتى أحاطوا بهم ثم قتلوهم جميعًا ولم ينجُ من هذه المذبحة إلا عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر كانا في سرح المسلمين، ثم قتل المنذر بن عقبة بن عامر، ولم ينج إلا عمرو الضمري، وكان في نجاته أحداث كانت في صالح المسلمين، فكانت سببًا في غزوة بني النضير، ولما علم النبي بالرجيع وبئر معونة في ساعة واحدة دعا على من قتلوهم ثلاثين صبحًا حتى أنزل الله على نبيه قرآنا فترك قنوته عليهم. (صحيح البخاري).

سابعًا: في صفر سنة ٨ هـ أسلم ثلاثة ممن كانوا يكيدون للإسلام في يوم واحد:

وهم عمرو بن العاص بن وائل، وخالد بن الوليد، وعثمان بن أبي طلحة العبدري رضي الله عنهم، وكان إسلامهم فتحًا عظيمًا ونصرًا مؤزرًا وفتحًا مبينًا بعد ذلك، وقد فرح النبي بإسلامهم رضي الله عنهم.

وهناك أحداث كثيرة جدًا في صفر لا يتسع المقام لذكرها، وفي هذا القدر كفاية، والله تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

زواج البارت تيم في الميزان

إعداد د. محمد عبد العزيز

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

والصلاةُ والسَّلامُ على النبيِّ الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد نشر أحد المحامين على موقع من مواقع التواصل الاجتماعي دعوة لتزويج العوانس والمطلقات والأرامل اللاتي زادت أعدادهن عن ٢ مليون امرأة في مصر وحدها، وقلت فرص زواجهن من زوج عزب.

وعليه فلن تكون إلا زوجة ثانية في مجتمع تأنف نساؤه من التعدد، ولذا اقترح أن يتزوجن زواجًا سماه: بارت تايم (Part time)، وهو ما سماه روّاد التواصل الاجتماعي: زواج السلف. وأثار هذا الموضوع موجة من البلبلة، وخرجت دار الإفتاء المصرية فتوى غير رسمية على صفحتها بتويتر في بيان حكمه، ولأهمية البيان في هذا الأمر فسوف أتناول في هذا المقال بيان حكم هذا الزواج، وقد جعلت ذلك في أربع مسائل:

فسوف أتناول في هذا المقال أربع مسائل:
الأولى: تمهيد في حكم الوفاء بالعقود ومراتبها.
الثانية: من أي مراتب العقود عقد النكاح؟
الثالثة: تعريف عقد زواج البارت تايم (Part time) عند مقترحيه.
الرابعة: حكم زواج البارت تايم (Part time).

المسألة الأولى: تمهيد في حكم الوفاء بالعقود ومراتبها.

فإن الوفاء بالعقود من أهم الواجبات المتحتمات في شريعة الإسلام قال الله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١)؛ والعقود في نفسها متفاوتة من حيث القوة، فهي من هذه الحيثية تنقسم إلى خمسة أقسام، ترتيبها من الأدنى إلى الأعلى:

١ - الوعد، وهو: إلزام المكلف نفسه فعلاً في المستقبل.
وقد شدد الشرع في حكم إخلاف الوعد حتى عد إخلاف الوعد من صفات المنافقين

٢ - العهد: إلزام والتزام، سواء كان فيه يمين أو لم يكن؛ ولذلك فهو أشبه بالنذر أو اليمين، وهو وعد مقرون بشرط، أو ميثاق.

فالأول: الوعد المقرون بشرط: قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (ص ٣٧٩): «العهد ما كان من الوعد مقرونًا بشرط، نحو: إن فعلت كذا فعلت كذا».

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٥ - ٧٧).

فقد التزم فعل معروف في المستقبل مشروط بتحقق شرط.

والثاني: الوعد الموثق، قال المناوي في التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٤٨): «ويسمى الوعد الموثق الذي يلزم مراعاته: عهدًا».

ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥).

ومن الفرق بين الوعد والعهد: أن العهد يقتضي الوفاء، والوعد يقتضي الإيجاز.
ويقال: نقض العهد، وأخلف الوعد.

حكم الوفاء بالعهد: يجب الوفاء بالعهد، وفي نقضه كفارة يمين.
والوفاء بالوعد والعهد يلزم ديانة لا قضاء.

٣ - العقد: ارتباط إيجاب وقبول بوجه مشروع يثبت أثره في محله.
وقد سمي البيع والإجارة والشركة والنكاح عقودًا؛ لأن كل واحد من طرفي العقد ألزم نفسه الوفاء به.

٤ - الميثاق: المراد به هنا: العقد إذا وُثّق بالشهادة، أو الكفالة، أو الرهن، أو الضمان، أو الكتابة.

٥ - الميثاق الغليظ: المراد به هنا: العقد الموثق إذا أُخذت فيه العهود، وسمي ميثاقًا غليظًا لقوته وعظمته.

والوفاء بهذه العقود الثلاثة العقد والميثاق، والميثاق الغليظ، يلزم ديانة وقضاء، كلما كان العقد أوثق كلما أكد الوفاء به.

إذا تقرر ما سبق، فقد بقيت:

المسألة الثانية: من أي مراتب العقود عقد النكاح؟

والجواب: أن عقد النكاح من أوثق العقود وأعظمها عند الله؛ فهو من الميثاق الغليظ، فهو عقد موثق، أخذت فيه الزوجة العهد على زوجها عند عقد النكاح.

وقد تكرر عقد الميثاق الغليظ في كتاب الله في ثلاثة مواضع فقط:

الأول: في عقد النكاح كما سبق، قال تعالى: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢١).

الثاني: في الميثاق الذي أخذ الله على بني إسرائيل على طاعته وعدم معصيته، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ١٥٤).

الثالث: في الميثاق الذي أخذه الله على النبيين على تبليغ الرسالة، قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» (الأحزاب: ٧).

وغلظ الميثاق في هذه المواضع الثلاثة؛ لأنه كان شديدًا قويًا في تأكيده وموضوعه، وما اشتمل عليه من أحكام مع التأكيد على الالتزام بما حمله الميثاق الغليظ.

فينبغي للمكلف أن يُعظّم ما عظّمه الله تعالى،

وليعلم أن عقد الزواج يقوم على أركان وشروط، ولا يصح حتى تنتفي موانعه، ويترتب عليه بعد انعقاده حقوق مشتركة بين الزوجين، وحقوق خاصة بالزوج، وحقوق خاصة بالزوجة، وحقوق خاصة بالولد إذا رزقهما الله به، وحقوق خاصة بقرابة المصاهرة، فليس هو عقد استمتاع محض.

ولا تُؤخذ أحكام هذه العقود من مثقفي صفحات التواصل الاجتماعي، وإنما تُستقى أحكامها من الشرع، ويُعرف حكمها من العلماء الربانيين، ومن لجان الفتوى المتخصصة.

المسألة الثالثة: تعريف عقد زواج البارت تايم (Part time) عند مبتدعيه:

البارت تايم (Part time): كلمة إنجليزية تعني: دوامًا جزئيًا، أو عملاً مؤقتًا.

وهو يريد بهذا المصطلح هنا: زواجًا جزئيًا.

وهذا المصطلح بظاهره سيئ المعنى، ويُفهم منه أنه زواج مؤقت بوقت معين يحدده الزوجان، وعلى هذا فهو زواج متعة، وزواج المتعة باطل إجماعًا.

وزواج المتعة المتفق على بطلانه يجمع أمورًا لأجلها كان باطلاً:

الأول: التأقيت بأجل محدد معلوم، وعقد الزواج الصحيح مطلق غير محدد المدة.

الثاني: أن الفرقة بين الزوجين تقع فيه بمضي المدة، فلا يفتقر إلى طلاق.

الثالث: أنه لا يفتقر إلى ولي وشهود.

الرابع: أنه لا يحدد فيه عدد الزوجات.

الخامس: أنه لا يحدث فيه توارث بين الزوجين بسبب المصاهرة ولو لم يكن هناك مانع.

السادس: أنه لا يترتب عليه أي حقوق سوى إثبات النسب.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٥ /٥٠٨): «اتفق أئمة علماء الأمصار من أهل الرأي والآثار: منهم: مالك وأصحابه من أهل المدينة، وسفيان، وأبو حنيفة من أهل الكوفة، والشافعي، ومن سلك سبيله من أهل الحديث والفقه والنظر، والليث بن سعد من أهل مصر والمغرب، والأوزاعي في أهل الشام، وأحمد وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وداود، والطبري على تحريم نكاح المتعة؛ لصحة نهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندهم عنها».

وقال ابن القطان الفاسي في كتابه الإقناع في مسائل الإجماع (٢ /١٦): «ولم يختلف العلماء من السلف والخلف أن المتعة:

- نكاح إلى أجل.
- لا ميراث فيه.
- والفرقة تقع عند انقطاع الأجل من غير طلاق.

وأجمع فقهاء الأمصار: على القول بتحريمها، وليس هذا حكم الزوجة عند أحد من المسلمين. وقد حرم الله الفروج إلا بنكاح صحيح ، وليس المتعة واحدة من هذين».

وعلى ظاهر تلك التسمية السيئة التي دعا إليها بعض المحامين خرجت فتوى دار الإفتاء المصرية ببيان بطلانه، وعدم قيام آثار الزوجية عليه، وذلك على صفحتها بتويتر بتاريخ: ١٤ محرم ١٤٤٣ هـ ـــ ٢٢ أغسطس ٢٠٢١م، فجاء فيها: «وما يقوم به بعض الناس من إطلاق أسماء جديدة على عقد الزواج، واشتراطهم فيه التأقيت بزمن معين ونحو ذلك يؤدي إلى بطلان صحة هذا العقد؛ فالزواج الشرعي هو ما يكون القصد منه الدوام والاستمرار وعدم التأقيت بزمن معين، وإلا كان زواجًا مُحرمًا، ولا يترتب عليه آثار الزواج الشرعية».

لكن ما تعريف هذا العقد عند مقترحيه؟

سبق أن مبتدع هذه الدعوة يريد بها: تزويج العوانس والمطلقات والأرامل اللاتي زادت أعدادهن عن ٢ مليون امرأة في مصر وحدها، وقلت فرصة زواجهن.

وعليه فلن تكون إلا زوجة ثانية في مجتمع تأنف نساؤه من التعدد وعليه فينبغي لتلك الزوجة الثانية التنازل عن بعض حقوقها؛ كالسكنى، أو القسم والمبيت، أو النفقة اتفاقًا عند العقد.

وهو يدعو إلى عقد مكتمل الأركان، والشروط، منتفي الموانع، ومثال ذلك أن هذا الزواج الذي يدعو إليه يشترط فيه: الإيجاب والقبول، والولي، والشهود، والمهر، والإعلان، وهو عقد موثق عند المأذون.

ففارق بذلك زواج المتعة، والزواج بنية الطلاق، والزواج العرفي غير الموثق، والزواج بنية

الإنجاب، فهو نوع من أنواع زواج المسيار، وقد خرجت به فتوى لمجمع الفقه الإسلامي.

المسألة الرابعة: حكم زواج البارت تايم (Part time):

خرجت فتوى لمجمع الفقه الإسلامي في ثلاثة عقود زواج مستحدثة، وهي: زواج المسيار، والزواج المؤقت بالإنجاب، والزواج بنية الطلاق، وهي تشمل بوصفها لزواج المسيار زواج البارت تايم، وهذه هي فتوى مجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ١٠ - ١٤/ ٣/ ١٤٢٧هـ، الذي يوافقه: ٨ - ١٢/ ٤/ ٢٠٠٦م قد نظر في موضوع: (عقود النكاح المستحدثة).

وبعد الاستماع إلى البحوث المقدمة، والمناقشات المستفيضة، قرر ما يأتي:

يؤكد المجمع أن عقود الزواج المستحدثة وإن اختلفت أسماؤها، وأوصافها، وصورها، لا بد أن تخضع لقواعد الشريعة المقررة وضوابطها، من توافر الأركان، والشروط، وانتفاء الموانع. وقد أحدث الناس في عصرنا الحاضر بعض تلك العقود المبينة أحكامها فيما يأتي:

١ - إبرام عقد زواج تتنازل فيه المرأة عن السكن والنفقة والقسم أو بعض منها، وترضى بأن يأتي الرجل إلى دارها في أي وقت شاء من ليل أو نهار.

ويتناول ذلك أيضاً: إبرام عقد زواج على أن تظل الفتاة في بيت أهلها، ثم يلتقيان متى رغبا في بيت أهلها أو في أي مكان آخر، حيث لا يتوافر سكن لهما ولا نفقة.

هذان العقدان وأمثالهما صحيحان إذا توافرت فيهما أركان الزواج وشروطه وخلوه من الموانع، ولكن ذلك خلاف الأولى.

٢ - الزواج المؤقت بالإنجاب وهو: عقد مكتمل الأركان والشروط إلا أن أحد العاقدين يشترط في العقد أنه إذا أنجبت المرأة فلا نكاح بينهما، أو أن يطلقها.

وهذا الزواج فاسد لوجود معنى المتعة فيه؛ لأن التوقيت بمدة معلومة كشهر أو مجهولة كالإنجاب يُصيِّره متعة، ونكاح المتعة مُجمَع على تحريمه.

٣ - الزواج بنية الطلاق وهو: زواج توافرت فيه أركان النكاح وشروطه وأضمر الزوج في نفسه طلاق المرأة بعد الزواج بنية الطلاق، وهو مدة معلومة كعشرة أيام، أو مجهولة؛ كتعليق الزواج على إتمام دراسته أو تحقيق الغرض الذي قدم من أجله.

وهذا النوع من النكاح على الرغم من أن جماعة العلماء أجازوه، إلا أن المجمع يرى منعه؛ لاشتماله على الغش والتدليس؛ إذ لو علمت المرأة أو وليها بذلك لم يقبلا هذا العقد ... ولأنه يؤدي إلى مفاسد عظيمة وأضرار جسيمة تسيء إلى سمعة المسلمين.

والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فعلى هذا فزواج البارت تايم (Part time) بوصفه "عقد صحيح" على الراجح لاكتمال الشروط، وتحقق الأركان، وانتفاء الموانع، واسمه الذي سمي به اسم سيئ، وهو اسم موهم لا يعبر عن حقيقة هذا العقد، لكن العبرة في صحة العقود بالقصود والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

وبقي أن ينظر هل يحقق هذا العقد السكن والمودة بين الزوجين؟ وهل يحقق الاستقرار النفسي للأبناء؟

وهذا من المقاصد الأساسية لعقد النكاح، قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ» [الأعراف: ١٨٩].

وقال: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

هذا ما يسره الله تعالى في هذه العجالة، والله ولي التوفيق.

أحكام متعلقة بفقه النكاح

المحرمات من النساء

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن المحرمات من النساء تحريمًا مؤبدًا، والقَدْر الذي يثبت به الرضاع، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولا: سن الرضاع:

ذهب الجماهير من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم أن ما يحرم من الرضاع ما كان دون الحولين.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

٢- عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ»- أخرجه البخاري (٥١٠٢) ومسلم (١٤٥٥).

٣- عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُحَرِّمُ مِنْ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ»- صحيح سنن الترمذي (١١٥٢).

أقوال أهل العلم في سن الرضاع:

قال ابن كثير في تفسيره (١/٢٦٦): بعد أن ساق الآية كما تقدم في الباب: هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة، وهي سنتان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك، ولهذا قال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين، فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم، وعن أم سلمة أنها قالت... وساق الحديث كما تقدم في الباب ثم قال: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم: أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم

شيئًا، ومعنى قوله «إلا ما كان في الثدي» أي: في محل الرضاعة قبل الحولين.
جاء في فتح القدير (٤٢٣/٣): وينبغي أن يكون الرضاع الموجب للتحريم في مدة الرضاع على ما نبين في المسألة التي تليها وهي قوله: ثم مدة الرضاع التي إذا وقع الرضاع فيها تعلق به التحريم ثلاثون شهرًا عند أبي حنيفة-رحمه الله- وقال سنتان، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد.
جاء في المدونة الكبرى (٢٩٧/٢): قال مالك: الرضاع حولان وشهر أو شهران بعد ذلك، قلت: فإن لم تفصله أمه وأرضعته ثلاث سنين فأرضعته امرأة بعد ثلاث سنين والأم ترضعه لم تفصله بعد؟
قال مالك: لا يكون رضاعًا ولا يلتفت في هذا إلى إرضاع أمه، إنما ينظر في هذا إلى الحولين وشهر أو شهرين بعدهما.
جاء في المهذب (٣/ ١٤٢): ولا يثبت تحريم الرضاع فيما يرتضع بعد الحولين لقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ البقرة: ٢٣٣)
فجعل تمام الرضاع في الحولين فدل على أنه لا حكم للرضاع بعد الحولين
جاء في الروضة الندية (١٢٢/٢): لا يثبت حكم الرضاع إلا قبل الفطام، وكون الرضيع قبل الفطام لحديث أم سلمة... وساق الحديث كما تقدم أول المسألة... ثم استدل بأحاديث منها حديث عائشة رضي الله عنها كما ذكرناه وفيه «إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ».
قال الصنعاني في سبل السلام (٣١٦/٣): في شرحه لحديث أم سلمة المتقدم: والمراد ما سلك فيها من الفتق بمعنى: الشق والمراد ما وصل إليها فلا يحرم القليل الذي لا ينفذ إليها، ويحتمل أن المراد ما وصل وغذاها واكتفت به عن غيره فيكون دليلاً على عدم تحريم رضاع الكبير ويدل على أن المراد هذا قوله في الحديث: «وكان قبل الفطام» فإنه يراد به قبل الحولين.

ثانيا: رضاع الكبير:

- عن عائشة قالت: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ، وَهُوَ حَلِيفُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَرْضِعِيهِ قَالَتْ: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ؟! فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ»- أخرجه مسلم (١٤٥٣).
قال أبو عمر ابن عبد البر: صفة رضاع الكبير أن يحلب له اللبن ويسقاه - شرح الموطأ (٢٩١/٣).
- وفي رواية أنها قالت: وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبْ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ، فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ»- أخرجه مسلم (٢٧ - ١٤٥٣).
- ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أن رضاع الكبير لا يُحَرِّم، وحجتهم في ذلك الأدلة الصحيحة التي جاءت في كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وفيها أن ما يحرم من الرضاع ما دون حولين وقد سبقت المسألة، وحملوا حديث سهلة على أنه مختص بها وبسالم، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.
وخالفهم أهل الظاهر، قالوا: تثبت حرمة الرضاع برضاع الكبير البالغ كما تثبت برضاع الطفل وحجتهم حديث الباب.
أقوال أهل العلم في المسألة:
جاء في المبسوط (١٢٨/٥): قال السرخسي: لا نرى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رخصة لسهلة

خاصة ثم هذا الحكم انتسخ بقوله صلى الله عليه وسلم: «الرَّضَاعُ مَا أَنْبَتَ اللَّحْمَ وَأَنْشَزَ الْعَظْمَ»، وذلك في الكبير لا يحصل، وقال صلى الله عليه وسلم: «الرَّضَاعَةُ من المَجَاعَةِ»، يعني ما يرد الجوع وذلك بإرضاع الكبير لا يحصل... واستدلا بظاهر قوله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ». ولا زيادة بعد التمام والكمال وقال تعالى: «وَفِصَالُهُۥ فِى عَامَيْنِ» (لقمان: ١٤)، ولا رضاع بعد الفصال.

جاء في بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٣/ ٦٠): واتفقوا على أن الرضاع يحرم في الحولين. واختلفوا في رضاع الكبير فقال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي وكافة الفقهاء: لا يحرم رضاع الكبير.

جاء في شرح الموطأ (٢٩٣/٣): قال ابن مسعود: لا رضاعة محرمة إلا ما كان دون الحولين لقوله تعالى: «حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ»؛ فجعل إتمامها حولين يمنع أن يكون الحكم بعدهما كحكمهما فتنتفى رضاعة الكبير، وفي الصحيحين مرفوعًا «إنما الرَّضَاعَةُ من المَجَاعَةِ». وفي الحديث: «لا رضاعَ إلا ما شدَّ العَظْمَ وأنبتَ اللَّحْمَ» أو قال: «أنْشَزَ العَظْمَ» رواه ابن مسعود موقوفا ومرفوعًا وصحح أبو عمر رفعه... إلى أن قال: وأتى الإمام بهذين الأثرين بعد حديث سهلة للإشارة إلى أن العمل على خلافه، فهو خصوصية لها أو منسوخ وهذا مذهب الجمهور.

قال الشافعي في الأم (٤٧/٥): هذا-والله تعالى أعلم- في سالم مولى أبي حذيفة خاصة، فإن قال قائل: ما دل على ما وصفت؟ قال الشافعي: فذكر حديث سالم... إلى أن قال: وقالت أم سلمة في الحديث وكان ذلك في سالم خاصة، وإذا كان هذا لسالم خاصة فالخاص لا يكون مخرجًا من حكم العام، وإذا كان مخرجًا من حكم العام فالخاص غير العام ولا يجوز في العام إلا أن يكون رضاع الكبير لا يحرم، ولا بد إذا اختلف الرضاع في الصغير والكبير من طلب الدلالة على الوقت الذي إذا صار إليه المرضع فأرضع لم يحرم، قال: والدلالة على الفرق بين الصغير والكبير موجودة في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ» (البقرة: ٢٣٣).

فجعل الله عزَّ وجل تمام الرضاع حولين كاملين.

قال النووي في شرح مسلم (٢٨٩/٥): قال سائر العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار إلى الآن: لا يثبت إلا بالإرضاع من له دون سنتين... إلى أن قال: وحملوا حديث سهلة على أنه مختص بها وبسالم، وقد روى مسلم عن أم سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنهن خالفن عائشة في ذلك والله أعلم.

جاء في المحلى (٢٠٢/١٠) مسألة (٢٠٢٠): ورضاع الكبير محرم -ولو أنه شيخ يحرم- كما يحرم رضاع الصغير ولا فرق.

جاء في نيل الأوطار (٣٧٣/٦): إن الرضاع يعتبر فيه الصغير، إلا فيما دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير الذي لا يُستغنى عن دخوله على المرأة ويشق احتجابها منه وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا هو الراجح عندي.

تعقيب وترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم، أرى صحة ما ذهب إليه جماهير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أن رضاع الكبير لا يقع به التحريم بين الرضيع والمرأة المرضعة؛ لقوة الأدلة الدالة على عدم التحريم، وكما نقلنا أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم، وهذا ظاهر في كتاب الله وفي الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقت المسألة.

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

الحلقة الثانية

أول الخير والرشاد في تصحيح الفهم والاعتقاد

شرح حديث: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة..."

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة»، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل بينها فيُجربُها كلها؟! قال: «فمن أعدى الأول؟».

التخريج:

رواه البخاري (٥٣١٦) (٥٧١٧)، وفي صحيح سنن أبي داوود رقم (٣٩١١).

المعنى العام للحديث:

جاءَ الإسلامُ ليَهدمَ مُعتقَدات الجاهليَّة، ويَشرع عقيدةً صَحيحةً على صحَّة التَّوحيد مبنيَّة، ونفوس زكية، وعقول رشيدة ذكية، وليس ذلك إلا في تصحيح الاعتقاد في رب العباد.

وفي حديثنا الشريف يَحكي أبو هُريرَةَ رضي اللهُ عنه أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «لا عَدْوَى»، وهذا نَفْيٌ لِما كانوا يَعتَقِدونه من مُجاوَزَةِ العلَّة من صاحبِها إلى غيره، وأنَّها تُؤثِّرُ بطَبْعِها، فأعلَمَهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ الأمرَ ليس كذلك، وإنَّما اللهُ عزَّ وجلَّ هو الذي يُقدِّرُ المرَضَ ويُنزِلُ الدَّاءَ.

فقَوَّم لنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم المعوجَ من المفاهيم، وأقام العقول علي صحيح الدين.

وهذا الحديث مروي بألفاظ، منها: ما رواه البخاري (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ".

وفي تفصيل لبيان ما سبق قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

١- (قوله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى): لا نافية للجنس، ونفي الجنس أعم من نفي الواحد والاثنين والثلاثة؛ لأنه نفي للجنس كله، فنفي الرسول صلى الله عليه وسلم العدوى كلها.

٢- والعدوى: انتقال المرض من المريض إلى الصحيح، وكما يكون في الأمراض الحسية يكون أيضًا في الأمراض المعنوية الخلقية،

ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن جليس السوء كنافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة كريهة.

فقوله: (لا عدوى) يشمل الحسية والمعنوية، وإن كانت في الحسية أظهر.

٣- وقوله: (ولا طيرة) الطيرة هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

٤- وقوله: (ولا هامة). الهامة: بتخفيف الميم فُسِّرت بتفسيرين:

الأول: أنها طير معروف يشبه البومة، أو هي البومة، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل: صارت عظامُهُ هامةً تطير وتصرخ حتى يُؤخذ بثأره، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه.

الثاني: أن بعض العرب يقولون: الهامة هي الطير المعروف، لكنهم يتشاءمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت؛ قالوا: إنها تنعق به ليموت، ويعتقدون أن هذا دليل قُرب أجله، وهذا كله بلا شك عقيدة باطلة.

وقيل: إنه داء في البطن يصيب الإبل، وينتقل من بعير إلى آخر. وعلى هذا فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام.

ولا صفر، ولا هامة:

مبنيّان على الفتح أيضًا، ومعطوفان على "لا عدوى" والخبر عنهما مُقدَّر كالذي قبلها، وفي كل منهما تأويلان:

• فأما الصَّفر، فكانت العرب في الجاهلية تزعُم أنه دابة في البطن تهيج عند الجوع، وربما قتلتْ صاحبَها، وكانوا يزعمون أنها أعدى من الجرب، وقيل: إنه الشهر المعروف الذي يلي المحرَّم، وكانوا إذا جاء المحرم، وهم محاربون أحلُّوه، وأخَّروا تحريمَه إلى صفر، وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه، وكانوا كثيرًا ما يتشاءمون بهذا الشهر؛ فلا يَعقدون فيه زواجًا، ولا يُزمِعون فيه سفرًا لتجارة أو لقضاء مهمة.

• وأما الهامَة بتخفيف الميم على اللغة المشهورة، وحُكي تشديدها أيضًا، فهي طائر من طير الليل، وقيل: هي البومة، وكانوا يتشاءمون بها، فإذا سقطتْ على دار أحدهم اعتقد أنها تَنْعَى له نفسه أو بعض أهله، وتُنذِرهم بخراب البيت، هذا أحد التأويلين، والتأويل الثاني: أنهم كانوا يَعتقدون أن عظام القتيل الذي لا يؤخذ بثأره، أو رُوحه تنقلب هامَة تطير وتصيح قائلة: اسقوني اسقوني! ولا تزال صائحة حتى يؤخذ بثأره.

فقال أعرابي: وهو واحد من الأعراب وهم أهل البادية في العيش والخشونة في الطبع بما يناسب البادية خلاف العرب، فهم أهل المدن والعمران، وكما هو واضح من سؤاله أنه يسأل مستغربًا ولا أقول معترضًا إذ قد التبس عليه.

والفاء للعطف والترتيب، عطف "قال" على فعل محذوف دلَّت عليه بعضُ روايات الحديث، وأصل العبارة: حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»، قام أعرابي فقال.... إلخ، وهذا الفعل المحذوف "قام" هو متعلِّق بالظرف "حين"، ولا يخفى أن قبله (قال) محذوفة خطًا، ولكنها تُذكر لفظًا كما هي عادة المحدِّثين في مثل هذا السند، والتقدير: عن أبي هريرة قال حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. إلخ، ويجوز أن تكون الفاء زائدة والظرف مُتعلِّق بـ"قال".

- قول الأعرابي وسؤاله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء:

- الفاء: الفصيحة، أفصحتْ عن شرط مُقدَّر، وهي واقعة في جوابه، وما: استفهامية مبتدأ، والبال: الحال والشأن خبر، وفي الرمل خبر تكون، وجملة تكون في الرمل في محل نصب حال من الإبل، وجملة كأنها الظباء حال من الضمير المستتر في خبر تكون.

- والظباء: جمع ظبي، وهو الغزال، ووجه الشبه نقاء

أرجلها ونظافتها وجمالها، فلا يعلق بها شيء من التراب أو الرمل، علاوة على قوّتها ونشاطها وسلامتها من الأمراض.

- يفيد كلام الأعرابي مُستشكلاً على نفي العدوى: كيف تكون الإبل نظيفة نقيّة كأنها الغزلان نشاطًا وقوة، فيجيء البعيرُ الأجرب فيدخل فيها فيُجربها كلها؟!

- يعني: يَختلط بهذه الإبل النقيّة السليمة بعير من غيرها مصابٌ بالجرب، فيعديها كلها، فما ذاك إلا لأن العدوى ثابتة، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بجوابٍ حاسم لإشكاله، قاطع لشُبْهته، فقال صلى الله عليه وسلم مجيبه ورافعًا الشبهة رادًّا لها بسؤال مختصر هو عين الجواب والحكمة قال: فمن أعدى الأول؟

بصيغة الاستفهام التقريري، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه كي يزول إشكاله؛ لأنه يعتقد أن الجرب يُعدي بطَبْعه، وأنه السبب الوحيد الذي لا يتخلف تأثيره في الإبل الصحيحة إذا خالطت البعير الأجرب، فبيّن له صلوات الله وسلامه عليه أن السببَ الحقيقي في الجرب وفي كل مرضٍ هو إرادة الله سبحانه وتعالى؛ فهو الفاعل المختار، وما ينتقل المرض من المريض إلى الصحيح إلا بإذنه ومشيئته، وإذا كان المرض نتيجة المخالطة أو الملاصقة من غير إرادته سبحانه وتعالى، فمن الذي أعدى البعيرَ الأول الذي أصابه الجربُ من غير مخالطة أو ملاصقة؟ إنه لا جواب عن هذا السؤال النبوي الحاسم إلا أن الله تعالى هو الذي أوجد ذلك.

فائدة ودرء شبهة:

هذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود؛ لأنها موجودة، ولكنه نفي للتأثير؛ فالمؤثر هو الله، فما كان منها سببًا معلومًا؛ فهو سبب صحيح، وما كان منها سببًا موهومًا؛ فهو سبب باطل، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحًا، ولكونه سببًا إن كان باطلاً.

فقوله: (لا عدوى): العدوى موجودة، ويدل لوجودها قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يورد ممرض على مُصح" أي: لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة؛ لئلا تنتقل العدوى.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "فرّ من المجذوم فرارك من الأسد"؛ والجذام مرض خبيث مُعْدٍ بسرعة ويُتلف صاحبه؛ حتى قيل: إنه الطاعون؛ فالأمر بالفرار من المجذوم لكي لا تقع العدوى منه إليك، وفيه إثبات لتأثير العدوى، لكن تأثيرها ليس أمرًا حتميًا، بحيث تكون علة فاعلة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالفرار، وأن لا يورد ممرض على مصح من باب تجنُّب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب نفسها؛ فالأسباب لا تؤثر بنفسها، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التي تكون سببًا للبلاء؛ لقوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة:١٩٥)، ولا يمكن أن يقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر تأثير العدوى؛ لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى.

فإن قيل: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال: "لا عدوى. قال رجل: يا رسول الله! الإبل تكون صحيحة مثل الظباء، فيدخلها الجمل الأجرب فتجرب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن أعدى الأول؟"؛ يعني أن المرض نزل على الأول بدون عدوى، بل نزل من عند الله عز وجل؛ فكذلك إذا انتقل بالعدوى؛ فقد انتقل بأمر الله، والشيء قد يكون له سبب معلوم، وقد لا يكون له سبب معلوم، فجربُ الأول ليس سببه معلومًا؛ إلا أنه بتقدير الله تعالى، وجرب

الذي بعده له سبب معلوم، لكن لو شاء الله تعالى لم يجرب، ولهذا أحيانًا تُصاب الإبل بالجرب، ثم يرتفع ولا تموت، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية، وقد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ويسلم آخرون ولا يصابون.

وهذا الجمع الذي أشرنا إليه هو أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث). انتهى من «شرح كتاب التوحيد ٢/ ٨٠».

مما يستفاد من الحديث:

١-تحرير العقول وتنوير القلوب وتصحيح الاعتقاد إذ الأمور تجري بمقادير يقدِّرها خالقها سبحانه وتعالى؛ فشرف العبودية يستلزم التحرر من مفاهيم الجاهلية.

٢-الأسباب والمسببات مخلوقة من الله يجريها ويبطلها بقدرته ومشيئته؛ فسبحان من جعل النار بردًا وسلامًا. وهذا فهم عام.

٣-ومن الحديث أن مرض الجرب كغيره من الأمراض والابتلاءات إنما ينتقل بإرادته سبحانه، وليس بطبيعة المرض، ولو كان بطبيعة المرض فكيف جاء المرض للمريض الأول، ولعل واقعنا يشهد هذا عندما نرى أنه كم من صحيح خالط مريضًا ولم يصبه شيء، وكم من مصاب بغير مخالطة لمريض، فالعبرة أولاً وآخرًا بإرادة الله تعالى ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

٤-أن العدوى كغيرها من الأسباب التي يجريها الله ويبطلها بمشيئته.

٥-صدق العبودية يستلزم الأخذ بالسبب ثم إنزاله منزلته أنه جريانه وبطلانه بمشيئة الله وقدرته.

٦-الحذر من اتخاذ الحديث ذريعة من بعض الغالين فينكرون بذلك السبب بالكلية، فجاء الحديث الآخر وحيًا من رب البرية على سيد البشرية رسول الإنسانية؛ مما يدل دلالةً صريحة على مراعاة هذه الأسباب المادية وعدم جحودها: أمر صلى الله عليه وسلم بالفرار من المجذوم، ليُبيِّن أن الله تعالى هو الذي يُمرض ويَشفي، ونهى صاحبَ الإبل المريضة أن يُوردها على صاحب الإبل الصحيحة؛ أخذًا بالحيطة مع التوكل على الله سبحانه، ومن ذلك أنه أخبر أمَّته بأن الطاعون عذاب أو رجز عذَّب الله به طائفة من بني إسرائيل، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه.

٧ -ومثل ما قيل في العدوى يُقال في الصفر بمعنى الشهر، وفي الهامة بمعنى الطائر كالبومة مثلاً: المراد نفي الصفات التي ألصقوها بالشهر والطير من تشاؤم وتعطيل المصالح، وأما الصفر بمعنى الدابة التي تهيج عند الجوع، والهامة بمعنى انقلاب العظام أو الرُّوح طائرًا يصيح، فهذا كان خرافات لا وجود لها ألبتَّة، وهما منفيتان ذاتًا وصفة.

٨-ومن المهم أن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُعث لإصلاح النفوس، وإبطال الخرافات، وتربية الأمة وهدايتها إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فلا مجال في ديننا لاستلاب العقول وحبس القلوب في قوالب مصنوعة محدودة، وإنما جاء الإسلام لينقل الحيارى من عبادة العباد لعبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا لسعة الدنيا والآخرة، جاء ليحرِّر العقول من ذل العبودية والتبعية البشرية إلى شرف العبودية لخالق البشر. (وينظر: شروح الحديث في مظانه في فتح الباري وشرح النووي على صحيح مسلم وعون المعبود شرح سنن أبي داوود).

وقد تعرض الإمام ابن القيم رحمه الله لفقه هذا الحديث ومعناه، في عدة كتب من كتبه، ومنها كتاب (مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٦٤؛ ٢٦٩)، ونقل طائفة من كلام أهل العلم في ذلك، كابن قتيبة وابن عبد البر وأبي عبيد. و للحديث بقية في شهرنا القادم، والحمد لله رب العالمين.

مثل الموحد والمشرك

إعداد: مصطفى البصراتي

قال تعالى: « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (الزمر: ٢٩).

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم: هذا مثل ضربه اللهُ سبحانه للمشركين والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل الشكس: الضَّيِّق الخُلُق، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبِّه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحدُ لما كان يعبدُ اللهُ وحده فمثلُه كمثل عبد لرجل واحد قد سَلِمَ له وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحةٍ عن تشاحُن الخلطاء فيه، بل هو سالمٌ لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، واحسانه إليه، وتوليته لمصالحه، فهل يستويان هذان العبدان؟ وهذا من أبلغِ الأمثال، فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته واحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقُ صاحبُ الشركاء المتشاكين. «الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

معاني المفردات:

«ضرب الله مثلاً» أي: تمثيل حالة عجيبة أخرى مثلها.

«رجلاً» قال الكسائي: نصب رجلاً لأنه تفسير للمثل.

«فيه شركاء متشاكسون» متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال: رجل شكسٌ شرسٌ إذا كان سيئ الخلق مخالفًا للناس لا يرضى بالإنصاف.

«ورجلاً سلمًا» أي: سالمًا «لرجل» أي: خالصًا لا يملكه أحد غيره.

«هل يستويان مثلاً» أي: لا يستوي هذا وهذا، كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا. «الحمد لله» أي: على إقامة الحجة عليهم.

«بل أكثرهم لا يعلمون» فلهذا يشركون بالله. (المفردات مستفادة من تفسير ابن كثير، والبغوي، وفتح البيان).

المعنى المفصل:

«ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (الزمر: ٢٩).

قال ابن عاشور: استئناف وهو من قبيل التعرض إلى المقصود بعد المقدمة. فإن قوله: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ» (الزمر: ٢٧) الآية قبل السابقة.

توطئة لهذا المثل المضروب لحال أهل الشرك وحال أهل التوحيد. اهـ. ابن عاشور.

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز»: لما ذكر الله تعالى أنه ضرب للناس في هذا القرآن من كل مثل مجملاً، جاء بعد ذلك بمثل في أهم الأمور وأعظمها خطرًا وهو التوحيد، فمثل تعالى الكافر العابد للأوثان والشياطين بعبد لرجال عدة، في أخلاقهم شكاسة ونقص وعدم مسامحة، فهم لذلك يُعذبون هذا العبد بأنهم يتضايقون في أوقاتهم، ويُضايقون هذا العبد في كثرة العمل، فهو أبدًا دائب ناصب، فكذلك عابد الأوثان، والذي يعتقد أن ضره ونفعه عندها هو معذب الفكر بها، وبحراسة حاله منها، ومتى أرضى صنمًا بالذبح له في زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر، فهو أبدًا في نصب وضلال، وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمة الملوك.

ومثّل الله تعالى المؤمن بالله تبارك وتعالى وحده بعبدٍ لرجل واحد يكلِّفه شغله، فهو يعمله على تؤدةٍ وقد ساس مولاه، فالمولى يغفر زلته ويشكره على إجادة عمله. اهـ. ابن عطية.

وقد أوضح معنى هذا المثل الدكتور وهبة الزحيلي في «التفسير الوسيط» فقال: «مثل الله تعالى الكافر العابد للأوثان والشياطين بعبدٍ لرجال عدة في أخلاقهم شكاسة ونقص وعدم مسامحة، فهم لذلك يعذبون هذا العبد؛ لأنهم يتضايقون في أوقاتهم ويضايقون هذا العبد في كثرة العمل، فهو أبدًا دائب التعب، فكذلك عابد الأوثان، أي ضرب الله مثلاً للمشرك في صنعه لا في معبوده، الذي يعبد أكثر من إله، بحالة رجل عبد مملوك يملكه عدد من الرجال، مختلفون فيما بينهم، متنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم متعاسرون، لسوء أخلاقهم وطباعهم، كل له رأي وحاجة، فإذا طلب كل واحد من السادة من هذا العبد شيئًا أو حاجة، فماذا يفعل، وكيف يُرضي جميع الشركاء؟ كذلك المشرك في عبادته آلهة متعددة لا يتمكن من إرضاء جميع تلك الآلهة، فهو مُعذَّب الفكر بها، ومتى أرضى صنمًا منها بالذبح له في زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر، فهو أبدًا في تعب وضلال».

ومثل الله تعالى المؤمن بالله تبارك وتعالى وحده، بعبد لرجل واحد يكلفه شغله، فهو يعمله على تؤدة، وقد ساس مولاه، فالمولى يغفر زلته ويشكره على إجادة عمله، أي ضرب الله مثلاً آخر للمؤمن بحالة رجل آخر مملوك لشخص واحد، لا يشاركه فيه غيره، فإذا طلب شيئًا منه لبّاه دون ارتباك ولا حيرة، وهذا كالمسلم الذي لا يعبد إلا الله، ولا يسعى

لإرضاء غير ربه، فهل يكون في طمأنينة أو في حيرة؟

الحمد لله على إقامة الحجة على عبدة الأوثان، وعلى أن الحمد لله لا لغيره، وعلى التوفيق للإسلام والحق، بل أكثر الناس لا يعلمون هذا الفرق فيشركون مع الله غيره، وبما أن أكثر الناس جاهلون بالحق، لا ينتفعون بهذا المثل، هدد الله تعالى بالموت بالآية التي بعدها: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠).

فمصير جميع الخلائق إلى الله، وهو الذي يفصل بينهم في مظالمهم، والموت عاقبة كل حي، فإنك أيها النبي ميت، وهم سيموتون، ثم يكون التقاضي عند الله تعالى فيما اختلفتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك، فينجي الله المؤمنين الموحدين، ويُعذب المشركين المكذبين.

والتخاصم في الآخرة ليس خاصًا بين المؤمنين والكافرين، وإنما هو حادث بين كل متنازعين في الدنيا، فإنه تتكرر المنازعة في الآخرة. (التفسير الوسيط لهبة الله الزحيلي بتصرف).

من فوائد الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: أن هذه الآية تطبيق لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ فإن هذا مَثَل.

الفائدة الثانية: أن مثل من يعبدُ مع الله غيره كمثل عبدٍ فيه شركاءُ متشاكسون متنازعون متخاصمون، وجهُ ذلك: أن هذا العابد مع الله تعالى غيره لم يكن قلبه خالصًا لله تعالى فتتنازعه الشركاء من يمين وشمال حتى ضاع بينهم.

الفائدة الثالثة : أن الله تعالى مُستحقٌ للحمد؛ لكمال توحيده؛ لقوله تعالى: ﴿ الحمد لله ﴾.

الفائدة الرابعة: أن الحمد المطلق إنما يكون لله عز وجل، أما غيره فهو وإن حُمد فليس حمده على الإطلاق، بل يُحمد على شيء معين وجزء معين مما يُحمدُ عليه، أما الحمد على الإطلاق فهو لله رب العالمين عز وجل، فهو المحمود على كل حال، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه ما يُسر به قال: «الحمد لله على كل حال». أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها.

الفائدة الخامسة: أن أكثر بني آدم لا يعلمون الحقائق على ما هي عليه وإن يعلموها لم ينتفعوا بها لقوله تعالى: ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾.(ينظر تفسير ابن عثيمين للآية).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

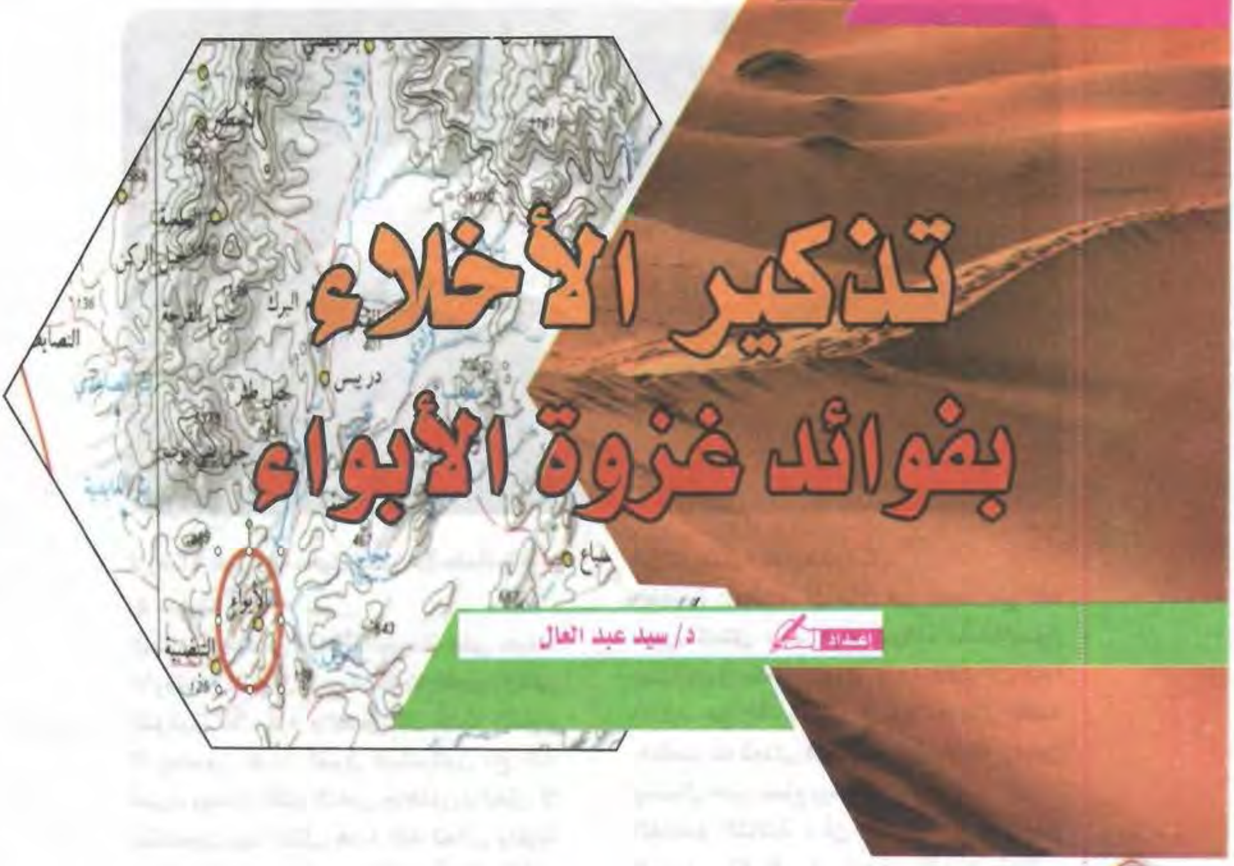

تذكير الأخلاء بفوائد غزوة الأبواء

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فلقد حثنا الله تعالى على أن نتأسى برسوله صلى الله عليه وسلم؛ حيث يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولا شك أن مما يعين على حسن التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة سيرته وشمائله؛ فهي في كثير منها بيان عملي لنصوص القرآن والسنة، ومن ثم نكتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نلتمس منها القدوة ونأخذ منها العبرة بعنوان "تذكير الأخلاء بفوائد غزوة الأبواء".

سياق أحداث الغزوة

لم تكن هذه الغزوة من الناحية العسكرية عريضة الذيل مترامية الأحداث، ومع ذلك فقد اشتملت على كثير من الفوائد التي تنفع المسلم؛ ولقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة غزوة الأبواء، ويقال لها: ودان، يريد قريشًا وبني ضمرة، وهي أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عيرًا لقريش، فلم يلق كيدًا، وفي هذه الغزوة وادع مخشي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا أن يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عليه عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. (زاد المعاد ١٤٨/٣)، وسيرة

Upload by: altawhedmag.com

ابن هشام ت السقا (١/ ٥٩١).

وفي هذا الحدث مسائل:

الأولى: في ذكر اسم هذه الغزوة: حيث إن لها اسمين:

الأول: غزوة الأبواء: قال البخاري: قال: ابن إسحاق: "أول ما غزا النبي صلى الله عليه وسلم: الأبواء". (صحيح البخاري ٥/ ٧١).

والأبواء: الأبواء واد من أودية الحجاز التهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة فيتكون من التقائهما وادي الأبواء، كتكون وادي مر الظهران من التقاء النخلتين، وينحدر وادي الأبواء إلى البحر جاعلا أنقاض ودان على يساره، وثم طريق إلى هرشى، ويمر ببلدة مستورة ثم يبحر. ويسمى اليوم «وادي الخريبة» غير أن اسم الأبواء معروف لدى المثقفين، وسكانه: بنو محمد من بني عمرو، وبنو أيوب من البلادية من بني عمرو. (النبي القائد (٢٩/ ١)، والمعالم الجغرافية: (٣٦)، ودلائل البيهقي (٣/ ٩).

الثاني: ودان: وهي قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع. (السيرة النبوية ابن هشام (١/ ٥٩١).

والأبواء وودان: مكانان متقاربان: قال ابن حجر: وليس بين ما وقع في "السيرة" وبين ما نقله البخاريّ عن ابن إسحاق اختلاف: لأن الأبواء ووَدّان مكانان متقاربان، بينهما ستة أميال، أو ثمانية، ولهذا وقع في حديث الصعب بن جَثّامة: وهو بالأبواء، أو بودّان. (صحيح البخاري (١٨٢٥)، وانظر: جوامع السيرة (ص: ١٥).

الثانية: تاريخ الغزوة:

كان خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره. (السيرة ابن هشام (١/ ٥٩١)، وقد خالف الطبري في تاريخ الغزوة فحكى الاجماع على أنها في ربيع).

وقال المباركفوري: في صفر سنة ٢ هـ الموافق أغسطس سنة ٦٢٣م. (الرحيق المختوم (ص: ١٧٩).

ومن العلماء من عدها في أحداث السنة الأولى كابن سيد الناس وابن جماعة (عيون الأثر (٢/ ٣٥٢)، والمختصر الكبير (٥٧). ومنهم من عدها في أحداث السنة الثانية كابن حبان. (السيرة النبوية لابن حبان (١/ ١٥٢)، ووقتها عند الكل واحد وبيان ذلك أنهم اختلفوا في طريقة العد فمن جعل أول السنة شهر ربيع جعلها في السنة الأولى ومن جعل أول السنة محرم جعلها في السنة الثانية.

الثالثة: وهي أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه؟

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها. (سيرة ابن هشام (١/ ٥٩١).

وقال البخاري: قال: ابن إسحاق: " أول ما غزا النبي صلى الله عليه وسلم: الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة " قال موسى بن عقبة: أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم يعني بنفسه- الأبواء. (صحيح البخاري (٥/ ٧١).

وعن زيد بن أرقم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة، وأنه غزا معه سبع عشرة غزوة وأن أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العسير أو العشير. (البخاري (٣٩٤٩)، ومسلم (١٢٥٤). وظاهره يخالف ما نقل عن أهل السير.

والجمع من وجوه:

الأول: أن تكون الغزوات التي قبل الأبواء خفيت على زيد لصغره.

الثاني: أن يكون قصد زيد أنها أول غزوة غزاها هو مع النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أن تكون غزوات صغيرة لم تشتهر، فإن من عد من الصحابة ذكر أعظمها.

الرابع: أن يقال: إن زيدا أخبر عما عنده،

والله تعالى أعلم. (فتح الباري (٧/ ٢٨٠)، وفتح المنعم (٧/ ٣٨٦)، وعمدة القاري (١٧/ ٧٤)، وسيرة ابن كثير (٢/ ٣٦٢)، والمفهم (٣/ ٦٩٢).

الرابعة: الهدف من الغزوة

الوصول إلى ودان لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام وذلك؛ لأن الحال بينهم كانت حالة حرب، والعمل على التحالف مع القبائل المسيطرة على هذه الطريق. (الرسول القائد (٨٨)).

الخامسة: الدروس والعبر:

- متى شرع الجهاد:

شرع الجهاد في أوائل السنة الثانية للهجرة، ولعل من الحكمة في ذلك انشغال المسلمين في السنة الأولى بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية كبنائهم المسجد النبوي، وأمور معايشهم، وطرق اكتسابهم وتنظيم أحوالهم السياسية؛ كعقد التآخي بينهم، وموادعتهم اليهود المساكنين لهم في المدينة، كي يأمنوا شرورهم، وذهب الأستاذ صالح الشامي إلى أن الإذن بالجهاد كان في أواخر السنة الأولى للهجرة. (السيرة للصلابي (٥/ ٧٢٢)، والسيرة لأبي شهبة (١/ ٧٥و٧٦)، ومعين السيرة (١٧٥).

- الفرق بين السرية والغزوة:

يطلق كتاب السير في الغالب على كل مجموعة من المسلمين خرج بها النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى عدوه غزوة، سواء حدث فيها قتال أو لم يحدث، وسواء كان عددها كبيرًا أو صغيرًا، ويطلق على كل مجموعة من المسلمين يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم لاعتراض عدو كلمة: سرية أو بعث، وقد يحدث فيها قتال وقد لا يحدث، وقد تكون لرصد أخبار عدوه أو غيره، وغالبًا ما يكون عدد الذين يخرجون في السرايا قليلاً؛ لأن مهمتهم محددة في مناوشة العدو وإخافته وارباكه. (السيرة النبوية (٥/ ٧٢٣)، وفي ظلال السيرة (١٢).

- فيها خروجه صلى الله عليه وسلم ومخاطرته بنفسه الشريفة حيث خرج مجاهدا في سبيل الله، وجلده صلى الله عليه وسلم على أمر الله؛ فقد خرج في الصيف بشدة الحرّ لمسافة طويلة.

- مشروعية الاستخلاف:

فينبغي لكل أمير يترك موضع إمارته لحاجة ولمدة قد تطول أن يستخلف من يكون على الناس بعده، وأنه ينبغي أن يستخلف من تنتظم كلمة الناس عليه لسابقته في الدين أو لشرفه في العشيرة.

قال الله تعالى: «وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ» (الأعراف/١٤٢).

وهذا يعم جميع المستويات حتى الإدارات الصغيرة وتنزل إلى مستوى الأسرة؛ فإذا سافر الوالد أو ذهب بعيدًا يستخلف من أبنائه وذويه من يصلح لقيادة الأسرة حتى لا تتفكك وتنحل عراها عندما تفتقد الإدارة الصحيحة والتوجيه السليم والكلمة المسموعة المطاعة.

- فهم الصحابة أنه لا يجوز قصد المدنيين بالقتل ولذلك سألوا عن قتلهم دون قصد؛ عن ابن عباس، عن الصعب بن جثامة رضي الله عنهم، قال: مر بي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء، أو بودان، وسئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين، فيصاب من نسائهم وذراريهم قال: "هم منهم"(صحيح البخاري (٣٠١٢).

ففي سؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عن قتل المدنيين غير المحاربين من دون قصد ما يدل على أنه ثبت لديهم النهى عن قصد قتل المدنيين غير المحاربين.ـــ إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب (١٦٤).

- مشروعية التحالف العسكري والمعاهدات بين المسلمين وغيرهم من الأمم فأمتنا ليست منعزلة عن عالمها ولا تعلن الحرب على كل

من خالفها، ويبدو أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهز هذه الفرصة في غزوة الأبواء؛ فعقد حلفًا عسكريًا مع شيخ بني ضمرة؛ فقد كان موقع بلاده ذا قيمة عسكرية لا تقدر بثمن في الصراع بين الدولة الإسلامية الناشئة وقريش؛ ولذلك عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضمان حيدتهم، في حال وقوع صدام مسلح بين المدينة وأهل مكة، وكانت خطته صلى الله عليه وسلم حتى وقعة بدر أن يزعج قوافل قريش بإرسال مجموعات صغيرة من المهاجرين، وخاصة أن هذه القوافل كانت غير مصحوبة بجيش يحميها، وهو أمر لم تفكر فيه قريش حتى تلك اللحظة. (السيرة النبوية (٥/ ٧٢٤)، ونشأة الدولة الإسلامية عون الشريف (٤٣).

وهو حلف عدم اعتداء وفق المصطلح الحديث. (السيرة النبوية للصلابي (٥/ ٧٢٥)، والفقه السياسي، خالد سليمان الفهداوي (ص ١١٩).

وقد دلت هذه الموادعة على أن مقتضيات السياسة الشرعية قد تدفع المسلمين إلى التحالف العسكري أو الاقتصادي أو التجاري، مع أي من الكتل القائمة، وأن التحالف السياسي له أصل في الشريعة، وضرورة يوجبها استهداف رفع الضرر الحاصل أو المرتقب (السيرة النبوية للصلابي(٥/ ٧٢٥)، وأن التحالف مبني على قاعدة رفع الضرر، والمصلحة المشتركة، وأن تكون لأصل الحلف غاية شرعية معلومة، وأن يكون للمسلمين في الحلف قرار ورأي، أما إذا كانوا أتباعًا ومنفذين كما في بعض الأحلاف الحديثة؛ فهذا لا ينطبق عليه الأصل الشرعي، وعلى قيادة الأمة أن تستوعب هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حركته السياسية، وأن تفهم القاعدة الشرعية التي تقول: "لا ضرر ولا ضرار"(السيرة النبوية للصلابي (٣٦٨).

وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم على بني ضَمرة ألا يحاربوا من دخل في دين الله، حتى يكون لهم النصر على من اعتدى عليهم أو حاول الاعتداء. وفي هذا إبعاد للعقبات التي يمكن أن تقف في طريق الدعوة؛ فقد أوجبت هذه المعاهدة على بني ضمرة ألا يحاربوا هذا الدين أو يقفوا في طريقه.

وتعتبر هذه المعاهدة كسبًا سياسيًا وعسكريًا للمسلمين لا يُستهان به. (السيرة النبوية (٥/ ٧٢٦)، ودولة الرسول من التكوين إلى التمكين، (٥٣٠)، والدعوة الإسلامية عبد الغفار عزيز (٢٩٦).

- وفيها حكمته صلى الله عليه وسلم كقائد عسكري، إذ عاهد قومًا على طريق حركته وحركة سراياه، فأمن بهذا العهد جزءًا مهمًا من الطريق، ويدرك العسكري المجرب أن فعله صلى الله عليه وسلم مكسب كبير وعمل موفق جليل، خاصة أنه يرسل أعدادًا محدودة العدد.

قال القرطبي: "وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح، لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه"(تفسير القرطبي (٨/ ٤٠).

- ومما يعلم من الدين بالضرورة وجوب الوفاء بهذه العهود: فإذا ما خاف ولي الأمر من نقض الحليف عهده نبذ إليه عهده وقال له: لا عهد بيننا كما قال تعالى: وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

- وفيها ما يجب على أمراء الجهاد من بذل كل الأسباب الشرعية لسلامة جنودهم طالما وُجد لذلك سبيل، وأي تهاون في ذلك هو خيانة للأمانة وقصور في الأداء. (النبي القائد (٢٨/ ١).

- وفيها فضيلة لحمزة ولسعد بن عبادة رضي الله عنهما.

والحمد لله رب العالمين.

البَرَاهِين الجَلِيَّة في الرَدِ على ضلالات المدرسة العقلية

إعداد: معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي جعل اتباع رسوله على محبته دليلا، والصلاة والسلام على أكمل الناس هديا وأقومهم قيلا وبعد:

فلم تكن مشكلة العقل والنقل أو الوحي والمعرفة الإنسانية موجودة لدى السلف الأولين، ذلك أن العقل المؤمن كان حاسمًا في موقفه المنهجي المبني على منطق العقل السليم: الوحي من علم الله الذي يُمَثل الحق المطلق في كل ما قدمه من قضايا، ومن ثم ؛ فإن أي تشكيك في قضية من قضاياه ينقض ذلك الإيمان أي أن هذا التشكيك يعني موقفا غير عقلي.

العقل مصدر للمعرفة، وهو الوسيلة التي كلفنا الله على أساسها وأمرنا أن ننظر في أمر الرسالة : "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ" (سبأ: ٤٦)، لكن هذا العقل جزء من الإنسان المخلوق المحدود، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذي يقدمه الوحي، إنه علم الإنسان أمام علم الله، وهي معادلة واضحة وعقلية.

لكن ذلك لم يكن لدى أولئك السلف، أنه ينبغي أن يُضمَر العقل وأن تبطل وظيفته الإبداعية ما دام الوحي موجودًا.

لم ينظروا إلى إيمانهم بالوحي وحقائقه المطلقة على أنه استغناءً عن العقل، ومن ثم عزلٌ له، كلا إن العكس هو الصحيح، إن انطلاق العقل - لدى هؤلاء - وابداعه وفتوحاته في المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية، وتنوع نشاطاته، كان نتيجة ذلك الإيمان بالوحي.

والمقصود أنه لدى السلف -الأولين- من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم وتابعيهم بإحسان، كان وجود الوحي -مع توفر العقل- السبيل إلى قيام حياة إنسانية تتحلى في كل جوانبها بالكمال -الممكن

بشريًا- آمنوا بهذا في وعيهم، وتحققوه في حياتهم، فلم يكن وجودهما معًا مشكلة، بل إن المشكلة في فقدان أحدهما، حيث إن فقدان الوحي يحرم العقل من الهادي الذي يدفعه في مجالات العلم، ويحدد له غايات حركته ويرسم له الضوابط التي يحقق بالتزامه بها إنتاجًا مثمرًا. كما أن فقدان العقل أو فساده ؛ يعني أن لا يتحقق لتعاليم الوحي وجودها الواقعي في حياة الناس، فتبقى هذه الحياة دون مستواها الإنساني المأمول".

تقديم النقل "الشرع" على العقل أصل الأصول في منهج السلف:

فاتباع السلف في الفهم والتفسير من السمات البارزة للمنهج السلفي، ففي الصفات الإلهية إثباتها بلا كيفية، وفي المسائل الأخرى، اتخاذ الأوائل قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولاً ثم الاقتداء بالصحابة؛ "لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التالية، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين ولم يفترقوا فيه ولم يظهر فيهم البدع والأهواء"، فيتميزون بأنهم يبدؤون بالشرع ثم يُخضعون العقل له، بما يتفق مع الشرع، وأن الأوائل كانوا أكثر فهمًا ودراية للشرع من غيرهم.

وتظهر أصول العقيدة لديهم في الايمان بصفات الله عز وجل وأسمائه من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، بل أمرُّوها كما جاءت في كتاب الله أو على لسان رسوله وردّوا علمها إلى قائلها.

قال شيخ الإسلام: "المعقول عندنا ما وافق هديهم، والمجهول ما خالفهم، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار" (نقض المنطق: ص٣٠٩).

فطريقتهم في إخضاع العقل للنص، لا العكس مخالفين بذلك قواعد المتكلمين من المعتزلة والأشعرية الذين قدموا العقل وأوّلوا النصوص تبعًا له، مستدلين بما استدل به شيخ الإسلام من قوله - تعالى -: "ائْتُوني بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"، وقوله: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا " (النساء : ٦١)، فالآثار هي الرواية، وفي الآية الثانية دليل على نفاق من يُحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وان زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يُسمّيه هو عقليات من الأمور المأخوذة من بعض طواغيت المشركين والكتابيين.

وهذا الاعوجاج في التفكير الذي قوّمه ابن تيمية ؛ هو الذي يتخذه أصحاب المنهج العقلي المعتزلي المعاصرون الذين يحاولون إخضاع الدين و الشريعة لمتطلبات العصر المتجددة، ومن جملة هؤلاء الشيخ محمد عبده وتلاميذ مدرسته العقلانية، ومن تأثر بمنهجه من أتباعه كعلي عبد الرازق، وطه حسين، وقاسم أمين، والكواكبي . ومنهجهم يصرحون فيه بوجوب تأويل النص ليُوافق مفهوم العقل ! وهو مبدأ "خطر"، فإطلاق كلمة "العقل" يَرُد الأمر إلى شيء غير واقعي! فهناك عقلي وعقلك وعقل فلان، وليس هناك عقل مطلق لا يتناوله النقص والهوى والجهل يُحاكم النصّ القرآني إلى مقرراته، وإذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيرة فإننا ننتهي إلى "فوضى" !

نشأة المدرسة العقلية الحديثة:

نشأت المدرسة العقلية في مصر في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري على يد: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وجاءت نشأة هذه المدرسة إبان ضعف الدولة العثمانيّة، وفي حالة للأمة يَغمرها الجهل والتخلف.

وقد بيّن عوار منهجها علماء أجلاء أمثال الشيخ محمد حسين الذهبي؛ فقال رحمه الله : " لقد أعطت لعقلها حرية واسعة، فتأوّلت بعض الحقائق الشرعيّة التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة،

واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن، كما أنها بسبب هذه الحرية العقليَّة الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودًا عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنتْ في الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة" [التفسير والمفسرون ٥٤٩/٢.

أوجه الشبه بين المدرسة العقلانية الحديثة والاتجاهات العقلانية القديمة

(١) اتفاق المدرستين على تقديس العقل والرجوع إلى أحكامه ورفعه إلى مرتبة الوحي وتقديمه علي النص وإخضاع النص له.

(٢) إنكار بعض المعجزات أو تأويلها ؛ لأنها لا تتناسب مع عقولهم القاصرة.

(٣) اتفاقهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية.

(٤) استباحة الخوض في أمور الغيب -التي لا يعلمها إلا الله وليس للعقل قدرة علي تصورها فضلاً عن الحكم عليها- بالإنكار والتشكيك تارة والتهكم والتكذيب تارة أخرى وذلك فيما يتعلق بالوحي والملائكة والجن والبعث وأحوال الآخرة.

(٥) الاستهانة بأحكام الله وشرعه وبالحلال والحرام والأخلاق والتشريعات والعبادات وعدم التسليم لله فيها.

(٦) الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في العقيدة وأصول الإسلام وإحياء المذاهب المنحرفة بين المسلمين وتمجيدها، والدعاية لها باسم التسامح الديني وحرية الفكر والاعتقاد.

(٧) اتفقت المدرستان على رد الأحاديث الصحيحة، بحجة أنها أحاديث آحاد، مثل أحاديث القدر والشفاعة، وأحاديث احتجاج موسى وآدم، وحديث موسى وملك الموت، وحديث وقوع الذباب في الإناء، وحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث المعراج، وأحاديث أشراط الساعة، فقد ردوا أحاديث نزول عيسى عليه السلام، والدجال، والمهدي والدابة.

(٨) الطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم ولمزهم والتهوين من شأنهم ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل، وكذلك اتهام اتباع الاتجاهات السلفية عموما بالتخلف وعدم القدرة على مواكبة العصر.

(٩) الدعوة لتفسير القرآن والسنة وتأويله تأويلًا عقلانيًا جديدًا حسب كل عصر دون اعتبار لتأويل السلف والصحابة، ودون التقيد بالمصطلحات الشرعية والقواعد والمناهج التي قام عليها الدين ومنهج السلف.

(١٠) تمجيد رواد الاتجاهات العقلانية الحديثة للفرق المنحرفة القديمة والعمل على إحيائها [منهج المدرسة العقلية، لفهد الرومي: ص ٨١٠.

أقوال علماء الأمة في تعظيم نصوص الكتاب والسنة والرد على مزاعم العقلانيين

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: "اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل؛ فإنهم أسَّسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الإتباع والمأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا الأصل الإتباع والعقول تبعٌ، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بُني على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئا حتى يعقلوا، ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله تعالى وما تعبد الناس به من اعتقاده وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط وصفات الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها" [صون المنطق: ص١٨٢.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "والْعَجَبُ أَنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ - مدعي النظر والاستدلال - مَنْ يُصَرِّحُ بِأَنَّ عَقْلَهُ إذَا عَارَضَهُ الْحَدِيثُ لَا سِيَّمَا فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ حَمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى عَقْلِهِ، وَصَرَّحَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ، وَجَعَلَ عَقْلَهُ مِيزَانًا لِلْحَدِيثِ، فَلَيْتَ شِعْرِي !! هَلْ عَقْلُهُ هَذَا

كان مُصرحًا بتقديمه في الشريعة المحمدية فيكون من السبيل المأمور باتباعه؟! أم هو عقل مُبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله " [نقض المنطق: ص٤٩].

سؤال ضروري: أي عقل هذا الذي زعموه ونصبوه ليكون حكمًا فيُتبع؟!

لقد تصدى علماء السلف عبر العصور لدعاة المدرسة العقلية مفندين شبهاتهم وضلالاتهم ومن هؤلاء الأفذاذ الأعلام في عصرنا العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي حيث يقول رحمه الله: (ولا يغترن إنسان بما آتاه الله من قوة في العقل وسعة في التفكير، وبسطة في العلم، فيجعل عقله أصلاً، ونصوص الكتاب والسنة الثابتة فرعًا، فما وافق منهما عقله قبله واتخذه دينًا، وما خالفه منهما لوى به لسانه وحرّفه عن موضعه، وأوّله على غير تأويله إن لم يسعه إنكاره، وإلا ردّه ما وجد في ظنه إلى ذلك سبيلاً -ثقة بعقله- واطمئنانًا إلى القواعد التي أصلها بتفكيره واتهامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو تحديدًا لمهمة رسالته، وتضييقًا لدائرة ما يجب اتباعه فيه، واتهامًا لثقاة الأمة وعدولها، وأئمة العلم، وأهل الأمانة الذين نقلوا إلينا نصوص الشريعة، ووصلت إلينا عن طريقهم قولاً وعملاً. فإن في ذلك قلبًا للحقائق، وإهدارًا للإنصاف، مع كونه ذريعة إلى تقويض دعائم الشريعة، وإلى القضاء على أصولها.

إذ طبائع الناس مختلفة واستعدادهم الفكري متفاوت، وعقولهم متباينة، وقد تتسلط عليهم الأهواء، ويشوب تفكيرهم الأغراض، فلا يكادون يتفقون على شيء، اللهم إلا ما كان من الحسيّات أو الضروريات.

فأي عقل من العقول يُجعل أصلاً يحكم في نصوص الشريعة فترد أو تنزل على مقتضاه فهمًا وتأويلاً.

أعقل الخوارج في الخروج على الولاة، وإشاعة الفوضى وإباحة الدماء؟

أم عقل الجهمية في تأويل نصوص الأسماء والصفات وتحريفها عن موضعها وفي القول بالجبر؟

أم عقل المعتزلة ومن وافقهم في تأويل نصوص أسماء الله وصفاته ونصوص القضاء والقدر وإنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة؟

أم عقل الغلاة في إثبات الأسماء والصفات، والغلاة في سلب المكلفين المشيئة و القدرة على الأعمال؟

أم عقل من قالوا بوحدة الوجود ... إلخ.

ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إذ يقول: ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة -من المتأولين لهذا الباب- في أمر مريج، فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء: أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله. فيا ليت شعري بأي عقل يُوزن الكتاب والسنة ؟! فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء".

(مجموع الفتاوى ٥/٢٦).

والحاصل مما سبق أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع ولا بد من الوقوف عند موارد النصوص، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للعقول في إدراكها حدًا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب فتقدُّم العقل بين يدي الشرع تقدّمٌ بين يدي الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين

صلاة المسافر

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، تكلمنا في اللقاء السابق عن مشروعية قصر الصلاة وعن حكم قصر الصلاة في السفر وذكرنا أن أهل العلم اختلفوا في ذلك علي ثلاثة آراء ، ونبدأ في هذا اللقاء الحديث عن أدلة كل فريق، وما هو القول الراجح في ذلك.

المذهب الأول:

أنها رخصة إن شاء قصر، وان شاء أتم، وهو قول بعض أصحاب مالك، وأصحاب الشافعي، وأصحاب أحمد. وقول للشافعي على الصحيح، وقول أحمد في إحدى الروايتين: إن القصر أفضل.

وأدلتهم هي:

أولا: من الكتاب

قال الله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) النساء: ١٠١.

وجْهُ الدّلالة:

أنّ (لا جُناح) لا يُستعملُ إلّا في المباح كما قال الشافعي: كقوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) البقرة: ١٩٨، وقوله تعالى: (لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) البقرة: ٢٣٦، ولو كان القصر واجباً لجاء النص القرآني مفيداً ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله، بعد أن ذكر حديث عائشة الثابت، وابن عباس، وعمر -رضوان ربي عليهم-: "ولا ينافي ما تقدم عن عائشة رضي الله عنها؛ لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك صح أن يقال: إن فرض صلاة الحضر أربع، كما قاله ابن عباس" (تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٥٨).

وأجيب بأن الآية وردت في قصر الصفة في صلاة الخوف لا في قصر العدد، لما علم من تقدم شرعية قصر العدد، واتفق حديث ابن عباس، وعائشة رضي الله

عنهم على أن صلاة السفر ركعتان، وأنها تامة غير مقصورة، كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه، وإذا كان كذلك فيكون المراد بقوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ) قصر الكيفية كما في صلاة الخوف، قال ابن القيم في زاد المعاد: "وقد يقال: إن الآية اقتضت قصرا يتناول قصر الأركان بالتخفيف وقصر العدد بنقصان ركعتين وقيد ذلك بأمرين: الضرب في الأرض والخوف؛ فإذا وُجد الأمران أبيح القصران فيصلون صلاة الخوف مقصورة عددها وأركانها وإن انتفى الأمران فكانوا آمنين مقيمين انتفى القصران فيصلون صلاة تامة كاملة وإن وجد أحد السببين ترتب عليه قصره وحده، فإذا وُجد الخوف والإقامة قصرت الأركان، واستوفي العدد، وهذا نوع قصر وليس بالقصر المطلق في الآية؛ فإن وجد السفر والأمن قصر العدد واستوفي الأركان وسميت صلاة أمن، وهذا نوع قصر وليس بالقصر المطلق، وقد تسمى هذه الصلاة مقصورة باعتبار نقصان العدد، وقد تسمى تامة باعتبار إتمام أركانها وأنها لم تدخل في قصر الآية والأول اصطلاح كثير من الفقهاء المتأخرين والثاني يدل عليه كلام الصحابة كعائشة وابن عباس وغيرهما. (زاد المعاد في هدي خير العباد ٤٤٤/١).

ثانيا: من السُّنَّة

١ - عن يَعلى بن أميَّة رَضيَ الله عنه قال: "سألتُ عُمرَ ابن الخطاب رَضيَ الله عنه قلت: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)، وقد أَمِنَ الله الناسَ؟ فقال لي عُمرُ رَضيَ الله عنه: عجبتُ ممّا عجبتَ منه، فسألتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك فقال: "صَدقةٌ تَصدَّقَ الله بها عليكم، فاقبَلوا صَدقتَه"(أخرجه مسلم والخمسة).

وَجْهُ الدَّلالة:

إنَّ قولَه صلَّى الله عليه وسلَّم: "صَدقةٌ تصدَّقَ الله بها عليكم"، دلَّ على أنَّ القَصرَ شُرِع في السَّفرِ رفقًا بالعباد، وتخفيفًا عنهم، وأنَّه ليس بمعنى الحتْم، ولا إلزامَ فيه للمسافر؛ فقد أجمعت الأمَّة أنَّه لا يَلزم المتصدَّقَ عليه قبولُ الصَّدقة) .شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٢).

وأجيب بأن الأمر بقبولها يدل على أنه لا محيص عنها وهو المطلوب، ولم يخص عليه الصلاة والسلام سفراً من سفر بل عم، فلا يجوز تخصيص ذلك، ولم يجز رد صدقة الله تعالى التي أمر عليه الصلاة والسلام بقبولها، فيكون من لا يقبلها عاصيًا. (انظر نيل الأوطار للشوكاني ٢١٤/٣. المحلى لابن حزم ١٩/٣).

٢ - عن عبدِ الرَّحمنِ بن يَزيدَ قال: "صلَّى بنا عُثمانُ بمِنَى أربعَ ركَعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود، فاسترجع، ثم قال: صليتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمِنًى ركعتين، ثم صليتُ مع أبي بكر بمِنى ركعتين، وصليت مع عُمرَ بمِنى ركعتين، فليتَ حظي من أربع ركَعات ركعتانِ مُتقبَّلتانِ "(رواه البخاري ومسلم).

وَجْهُ الدَّلالة:

أنَّه لو كان القَصرُ واجبًا لَما أتمَّ عثمانُ رَضيَ الله عنه، ولَما وافقه الصَّحابة رَضيَ الله عنهم على ذلك. (المجموع للنووي ٣٤٠/٤).

قال الشافعي رحمه الله: "لو كان فرض المسافر ركعتين؛ لما أتمها عثمان ولا عائشة ولا ابن مسعود" (زاد المعاد لابن القيم ٤٤٤/١). وأجيب بأنه قد أنكر جماعة، منهم عليه وعثمان لما أتم بمنى ولم يكن ابن مسعود ليسترجع من فعل عثمان أحد الجائزين المخير بينهما بل الأولى على قول، وإنما استرجع لما شاهده من مداومة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه على صلاة ركعتين في السفر، وتأولوا له تأويلات، وقد ذكرها بطولها ابن القيم، ثم قال التأويل السادس: أنه كان قد تأهل بمنى والمسافر إذا أقام في موضع وتزوج فيه أو كان له به زوجة أتم .... وهذا أحسن ما اعتذر به عن عثمان. (انظر نيل الأوطار

للشوكاني ٣/٢١٤. وزاد المعاد لابن القيم ١/٤٤٤).

٣- عن نافع عن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: "صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين، وأبو بكر بعده، وعُمرُ بعد أبي بكر، وعثمانُ صدرًا من خلافته، ثم إنّ عثمان صلى بعدُ أربعًا، قال: فكان ابنُ عُمرَ إذا صلى مع الإمام صلى أربعًا، وإذا صلاها وحده صلى ركعتين" رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وجهُ الدَّلالة: أنّ ابن عُمر رضي الله عنهما لو كان يرى أن الواجبَ على المسافر ركعتان حتمًا؛ لما جاز له فعلها أربعًا، ولو كان فرض المسافر لم يجز أن يتمها مسافر مع مقيم.

قال النووي في المجموع: "قال أصحابنا: ولأن العلماء أجمعوا على أن المسافر إذا اقتدى بمقيم لزمه الإتمام، ولو كان الواجب ركعتين حتمًا لما جاز فعلها أربعًا خلف مسافر ولا حاضر كالصبح. ولأنه تخفيف أبيح للسفر فجاز تركه كالفطر والمسح ثلاثًا وسائر الرُّخص"..

٢- المذهب الثاني:

ذهب الإمام أبو حنيفة، وأهل الظاهر، ووافقهم القاضي إسماعيل من المالكية، وهي رواية عن مالك على أن قصر الصلاة فريضة واجبة ورجحه الشوكاني. واستدلوا على وجوب قصر الصلاة بأدلة كثيرة منها:

١- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "فرضت الصلاة ركعتان ركعتان، فأقرّت صلاة السفر، وزيدت في الحضر" (رواه البخاري ومسلم).

وفي رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: "كان أول ما افترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ركعتين ركعتين إلا المغرب، فإنها كانت ثلاثًا، ثم أتم الله الظهر، والعصر، والعشاء الآخرة أربعًا أربعًا في الحضر، وأقر الصلاة على فرضها الأول في السفر".

وجهُ الدَّلالة: بأن صلاة السفر إذا كانت مفروضة ركعتين لم تجز الزيادة عليها، كما أنها لا تجوز الزيادة على أربع في الحضر.

وأجيب بأن الحديث من قول عائشة غير مرفوع، وأنها لم تشهد زمان فرض الصلاة، وأنه لو كان ثابتًا لنُقل تواترًا وهذا جواب غير مُسلّم لهم.

وأجيب أيضًا بأن معناه صلاة السفر ركعتان لمن أراد الاقتصار عليهما بخلاف الحضر، وقوله: "تمام غير قصر"، معناه تامة الأجر. والمراد بقولها "فرضت" يعني لمن أراد الاقتصار عليهما فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم، وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار، ويتعين المصير إلى هذا التأويل؛ جمعًا بين الأدلة.

ورُدّ بأنه تأويل متعسف لا يُعوّل على مثله" (انظر المجموع للنووي ٤/٣٤٠، نيل الأوطار للشوكاني ٣/٢١٤).

ومنها: المعارضة لحديث عائشة بأدلتهم التي تمسكوا بها في عدم وجوب القصر وسبق الجواب عنها.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن الله عز وجل فرض الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم على المسافر ركعتين، وعلى المقيم أربعا، وفي الخوف ركعة" (رواه مسلم).

وجهُ الدَّلالة: أن الصحابي الجليل قد حكى عن الله عز و جل أنه فرض صلاة السفر ركعتين، وهو أتقى لله وأخشى من أن يحكي أن الله فرض ذلك بلا برهان.

٣- عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "صلاة السفر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، والفطر والأضحى ركعتان، تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم". (رواه النسائي وغيره وصححه الألباني).

وجهُ الدَّلالة: أن صلاة السفر مفروضة كذلك من أول الأمر وأنها لم تكن أربعًا ثم قصرت.

وقوله: "على لسان محمد" تصريح بثبوت ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم.

وأجيب بأن معناه صلاة السفر ركعتان لمن أراد الاقتصار عليهما بخلاف الحضر، وقوله "تمام غير قصر" معناه تامة الأجر. (انظر المجموع للنووي ٤/٣٤٠، نيل الأوطار للشوكاني ٣/٢١٤).

٤- واحتجوا أيضًا بملازمته صلى الله عليه وسلم للقصر

في جميع أسفاره، ولم يثبت عنه صلى الله عليه و سلم أنه أتم الرباعية في السفر البتة. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لا يزيد في السفر على ركعتين، وأبا بكر، وعمر، وكذلك عثمان. (رواه البخاري ومسلم).

وفي رواية لمسلم: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ومع عثمان صدرًا من خلافته ثم أتم.

ويُجاب عن هذه الحجة بأن مجرد الملازمة لا يدل على الوجوب، كما ذهب إلى ذلك جمهور أئمة الأصول وغيرهم.

المذهب الثالث:

ذهب أصحاب المذهب الثالث إلى أنها سنة مؤكدة آكد من الجماعة، والإتمام مكروه، وهو قول مالك في إحدى الروايتين، وهو أشهر الأقوال عنه، وأحمد في الرواية الأخرى. وهذا ما رجَّحه ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهم الله، وجمع كثير من المتأخرين، واستدلوا بأدلة كثيرة منها ما ذكرناها آنفًا في أدلة الوجوب، ومنها أيضًا:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن ضُلّال فعلمنا، فكان فيما علمنا أن الله عز وجل أمرنا أن نصلي في السفر ركعتين. (رواه النسائي وصححه الألباني).

وَجْهُ الدَّلالة: أمرنا أن نصلي في السفر ركعتين، والأمر يفيد الوجوب كما هو معلوم في الأصول.

٢- عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله وضع عن المسافر نصف الصلاة، والصوم، وعن الحبلى والمرضع" (رواه النسائي وأبو داود وصححه الألباني).

٣- عن أبي ليلى قال: أقبل سلمان في اثني عشر راكبًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فحضرت الصلاة فقالوا: تقدم يا أبا عبد الله، فقال: إنا لا نؤمكم ولا ننكح نساءكم، إن الله هدانا بكم. قال: فتقدم رجل من القوم فصلى بهم أربعًا. قال سلمان: ما لنا وللمربعة إنما كان يكفينا نصف المربوعة، قال: نحن إلى التخفيف أفقر. (رواه ابن أبي شيبة، وقال الألباني في إرواء الغليل ٢١٨/٦/ وهذا سند صحيح).

وَجْهُ الدَّلالة: كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وسلمان قد أنكر التربيع وذلك أنه خلاف السنة المعروفة عندهم، فإنه لم تكن الأئمة يربّعون في السفر. وقوله: "ونحن إلى الرخصة أحوج"؛ يبين أنها رخصة وهي مأمور بها). مجموعة الرسائل والمسائل ٢٨٣.

فالقصر هو السنة الثابتة المؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي التي داوم عليها، ولم يفعل سواها البتة، وهذا ما دلت عليه النصوص الصريحة الصحيحة، والتي لا يجوز إلا اتباعها.

قال ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كانت سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه التي اتفقت الأمة على نقلها عنه: أنه كان يصلي الرباعية في السفر ركعتين، ولم يصلها في السفر أربعًا قط، ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما لا في حج ولا في عمرة، ولا في جهاد" (مجموع الفتاوى ٥٤٣/٢٢).

وقال رحمه الله: "فثبت في السنة المتواترة أن صلاة السفر ركعتان، كما أن صلاة الحضر أربع، فإن عدد الركعات أُخذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم الذي سنّه لأمته، وبطل قول من يقول من أصحاب أحمد والشافعي إن الأصل أربع، وانما الركعتان رخصة" (مجموع الفتاوى ٨١/٢٢).

ولعل المذهب الثالث القائل بأن قصر الصلاة المسافر سنة مؤكدة آكد من الجماعة والإتمام مكروه هو أقرب الأقوال إلى الصواب؛ لقوة أدلتهم، وهو قول وسط بين من قال بالوجوب ومن قال بالتخيير.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الله يثني على عباده المؤمنين

قال الله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا"

(الأحزاب: ٤١ :٤٣)

من أقوال السلف

عن حكيم بن مسعود رضي الله عنه قال: «شرَ النَدامة ندامة يوم القيامة، وشرَ الضَلالة الضَلالة بعد الهدى».

(الفوائد لابن القيم).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

احذر الظلم فإنه يعطلك عن دخول الجنة

عن أبي سعيد الخدريَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «إذا خلص المؤمنون من النَار حُبسوا بقنطرة بين الجنَة والنَار، فيتقاصُون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتَى إذا نُقَوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنَة".

(صحيح البخاري).

حكم ومواعظ

عن إبراهيم بن يزيد التَيميَ: قال: «المؤمن إذا أراد أن يتكلَم نظر، فإن كان كلامه له تكلَم، وإن كان عليه أمسك عنه. والفاجر إنَما لسانه رسلاً رسلاً» ومعنى رسلاً رسلاً: أي اللَين والاسترخاء، يعني اللسان المنفلت. (كتاب الصمت لابن أبي الدنيا).

من دلائل النبوة

إخبار رسول الله صلى الله عله وسلم عن انتهاء مُلك قيصر وكسرى

عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عله وسلم قال: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" وقد تحقق ذلك بخروج القيصر الذي حكم الشام من قبل الروم ولم يرجع إليها أبدًا.

(مسند أحمد).

إعداد : علاء خضر

مصطلحات فقهية

الاختِصار في الصلاة: هو الاتكاء على المخصرة أي العصا أو العُكّازة وقيل: هو قراءة آية أو آيتين من آخر السورة.

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم". لا أصل له. وهو من التوسل المبتدَع الذي نهى عنه العلماء، وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في "القاعدة الجليلة"

(السلسلة الضعيفة للألباني).

من حكمة الشعر

لا تعجلنّ فليس الرّزق بالعجل
الرّزق في اللّوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرّزق يطلبنا
لكنّه خُلق الإنسان من عجل

(حسن السمت في الصمت).

من درر العلماء

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى: «الإنسان خُلق في الأصل ظلومًا جهولاً، ولا ينفكّ عن الجهل والظّلم إلا بأن يعلّمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به خيرًا علّمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علّمه فخرج به عن الظّلم، ومن لم يرد به خيرًا أبقاه على أصل الخلقة. فأصل كلّ خير هو العلم والعدل، وأصل كلّ شرّ هو الجهل والظّلم»

(إغاثة اللهفان).

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. (مسند أحمد).

حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد: فما زال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم. وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن وأدلة السنة، وبدأت في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم، ووصلت إلى الأثر الخامس.

إعداد: د. متولي البراجيلي

الأثر الخامس:

عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين (من التابعيات) وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به، فنقول لها: رحمك الله!، قال الله تعالى: « وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ » (النور:٦٠) هو الجلباب، قال فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: (وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ) (النور:٦٠)؛ فتقول: هو إثبات الجلباب (السنن الكبرى للبيهقي ح ١٣٥٣٤، وقال الألباني في جلباب المرأة المسلمة ص١١٠وهذا إسناد صحيح).

وقد استدل بالأثر من قال بوجوب تغطية الوجه. يقول د. العريفي: استدل بالأثر من قال بوجوب النقاب، وأن المرأة الكبيرة في السن يجوز لها أن تكشف وجهها من غير تبرج بزينة، فلو جاء أحدهم وقال: لا، أصلاً كل النساء يكشفن وجوههن فنقول: إذاً المرأة الكبيرة في السن أذن الله لها أن تكشف ماذا؟ إذا كانت لن تكشف وجهها؛ لأن كل النساء يكشفن وجوههن، إذاً فأي شيء زائد أذن الله لها أن تكشف هذه المرأة العجوز.

والمعنى: أن النساء الأصل أن يسترن وجوههن، والمرأة العجوز أذن لها أن تكشف وجهها (انظر ٢٠ دليلاً لوجوب النقاب د. العريفي ص٨).

القرائن حول الأثر:

١- «فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن»؛ أي ليس عليهن إثم أن يضعن ثيابهن. فهل معنى وضع الثياب هو خلع النقاب عن الوجه؟

يقول الطبري: "«يضعن

ثيابهن»: يعني جلابيبهن، وهو القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب.

٢- أثر ابن عباس رضي الله عنهما: لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب، ما لم تتبرج لما يكره الله (انظر تفسير الطبري ١٩/٢١٥-٢١٨). وعن الضحاك: «يضعن ثيابهن»: يعني الجلباب وهو القناع.. فلا يضرها أن لا تجلبب فوق الخمار، وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها إذا بلغت المحيض أن تدني الجلباب على الخمار... وعن ابن جريج: قال: جلابيبهن.

وعن ابن زيد: قال: وضع الخمار (انظر السابق).

٣- أثر ابن مسعود رضي الله عنه عن وضع الثياب قال: الجلباب أو الرداء، وفي رواية الرداء، وفي رواية الملحفة، وفي رواية الجلباب وعن الشعبي قال: الجلباب. وعن مجاهد قال: جلابيبهن...

فيتلخص لدينا مما نقله الطبري في تفسيره أن وضع الثياب بمعنى: الجلباب، القناع، الرداء، الخمار (انظر السابق).

وفي تفسير القرطبي: العرب تقول امرأة واضع: التي كبرت فوضعت خمارها، ونقل عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنه الجلباب، ونقل عن بعضهم: لو بدا شعرها فلا بأس، فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار. ثم قال: والصحيح أنها (القاعد) كالشابة في التستر؛ إلا أن الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع والخمار (انظر: تفسير القرطبي ١٢/٣٠٨-٣٠٩). وكذلك ذكر ابن كثير أن وضع الثياب: الجلباب أو الرداء (انظر تفسير ابن كثير ٦/٨٣-٨٤).

وبهذا قال قدامى المفسرين عن معنى وضع الثياب. (انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٢٠٨، تفسير ابن وهب ٢/ ٨٩، تفسير يحيى بن سلام١/ ٤٦١، تفسير الزجاج ٤/٥٣، تفسير ابن أبي حاتم ٨/٢٦٣٩، تفسير الماتريدي ٧/٥٩٣، تفسير الماوردي ٤/١٢١).

فلم أقف في هذه التفاسير على تفسير وضع الثياب بالنقاب، وأن ما جاء في معنى وضع الثياب عند هؤلاء المفسرين يدور بين: الجلباب، الرداء، القناع، الخمار، الملحفة.

فمن ذهب إلى أن معنى وضع الثياب في الآية هو النقاب، احتج بقول من قال: إن وضع الثياب هو القناع، والقناع هو غطاء الوجه، وقد سبق أن بينت معنى القناع لغة عند العرب، وأنه فيما اطلعت عليه من كتب اللغة لا يكون مرادفا للنقاب، بل قالوا: هو ما تقنع به المرأة رأسها (انظر مقاييس اللغة ٥/ ٣٣، المحكم ٢/٢٢٨، شمس العلوم ٨/ ٥٦٣٩، النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١١٤، لسان العرب ٨/ ٣٠٠).

قد يقال: القناع هو ما تغطي به المرأة رأسها، ويكون الوجه تابعًا للرأس في التغطية، لكن يبقى هذا على الاحتمال. عمومًا الآية ليست نصًا قطعيًا في وجوب تغطية الوجه (النقاب) أو عدم وجوبه، وإنما هي تتكلم عن القواعد من النساء (كبيرات السن)، ويستنبط منها - بمفهوم المخالفة- نهي المرأة الشابة عن التبرج، مما يجعل الآية دليلاً على أدلة الحجاب على عمومه، وليست الآية في خصوص النقاب. والله أعلم.

الأثر السادس:

قال ابن هشام -رحمه الله- وذكر عبدالله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قد أتت بجلب لها (ما يُجلب للأسواق ليُباع فيها)، فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها....

القرائن حول الأثر:

١- سند الأثر: منقطع من أعلى السند وأسفله، فعبدالله بن جعفر الذي روى عن ابن هشام، لم يلتق به، فالسند معلق، ومن

ناحية أخرى فهو مرسل؛ لأن ابن عون تابعي صغير توفي ١١٦ لم يدرك الواقعة. (وضعّفه الألباني في دفاع عن الحديث النبوي ص ٢٦-٢٧، تخريج فقه السيرة ص ٢٤١).

وقد ساقه البوطي كدليل من أدلة وجوب النقاب، وقال: وهو يدل على أن الحجاب الذي شرعه الإسلام للمرأة سابغ للوجه أيضًا، وإلا لم يكن هنالك أي حاجة إلى أن تسير هذه المرأة في الطريق ساترة وجهها، ولو لم يكن سترها لوجهها تحقيقًا لحكم ديني يأمرها بذلك، لما وجد اليهود ما يدفعهم إلى ما صنعوا، لأنهم إنما أرادوا من ذلك مغايظة شعورها الديني الذي كان يبدو جليًا في مظهرها.... ثم قال: وقد يقال في هذه القصة التي تفرد بروايتها ابن هشام بعض اللين، فلا تقوى على الدلالة على مثل هذا الحكم، إلا أنه يشهد لها أحاديث كثيرة أخرى ثابتة لا مجال للطعن فيها (انظر فقه السيرة للبوطي ص ١٦٨-١٦٩).

٢- تاريخ غزوة بني قينقاع: هل كانت قبل الأحزاب التي نزل فيها الأمر بالحجاب أم بعدها ؟ فلو افترضنا صحة الأثر وهو ضعيف كما رأينا فإن غزوة بني قينقاع كانت قبل الأحزاب. فنقاب المرأة في الأثر لم يكن أمرًا دينيًا لا بد من التزامه، وإنما كان تعففًا من المرأة؛ لأن آيات الحجاب لم تكن قد نزلت بعد.

الأثر السابع:

قال العجلي: كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى يرى أحد هذا الوجه لا يُفتن به؟ قال نعم: قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه. قال قد أذنت لك. قال: فأتته كالمستفتية؛ فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، قال: فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها يا أمة الله: فقالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري.. (الثقات للعجلي ترجمة ١٠٨٢).

قال التويجري: يُستفاد من إنكار عبيد بن عمير على المرأة الجميلة لما أسفرت بوجهها عنده أن التابعين كانوا يرون أن سفور النساء من المنكرات (الصارم المشهور ص١٧٧).

القرائن حول الأثر:

١- السند: لم أقف عليه مسندًا، وإنما ذكره العجلي في الثقات بدون إسناد. وبين ميلاد العجلي ووفاة عبيد بن عمير أكثر من مائة سنة.

٢- لو تساهلنا في سند القصة، فهي تدل على مشروعية النقاب، أو على وجوبه للمرأة الجميلة التي يفتن بها الناس؛ إن نظروا إليها، كما قال بذلك بعض أهل العلم.

٣- إنكار عبيد بن عمير على المرأة هل كان لكشفها وجهها، أو لقولها إنها قد فتنت به، يحتمل الأمران، وإن كان وعظه الشديد لها جاء بعد قولها أنها قد فُتنتْ به.

٤- استبعاد أن يحدث هذا في عصر التابعين، وأن يأذن رجل في زمن التابعين لزوجته أن تتعرض لرجل من أهل العلم من أجل أن تفتنه بجمالها.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

تُوفيت إلى رحمة الله تعالى والدة الزميل الفاضل ربيع محمود، وهو أحد قدامى موظفي مجلة التوحيد. وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء للأسرة الكريمة، سائلين الله تبارك وتعالى أن يرحمها رحمة واسعة، وأن يُسكنها الفردوس الأعلى، ويلهم أهلها الصبر والسلوان، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا؛ إنا لله وإنا إليه راجعون.

القصص في القرآن الكريم وأثره في تكوين شخصية الداعية

إعداد
د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: فإن من وسائل أداء الدعاة إلى الله في تبليغ رسالة الإسلام، القصة، وهي في مدلولها اللغوي تلتقي في المعنى مع أصل التسمية في القرآن الكريم، وهو: الإعلام بالنبأ وتتبع الأثر وتفصيله ولها مواصفات فنية ونفسية معينة تميزها عن مجرد الخبر أو الحكاية، فالأول مجرد عن التصوير الفني والاثارة النفسية، والثانية مجردة عما يأخذ بالأسماع والقلوب من الغوص في مكامن الشعور، والتشخيص للحادثة، والتنسيق في العرض واللفظ، واذا كان القرآن الكريم، كتاب الدعوة قبل كل شيء فإن القصة أحد وسائله في بيان أحكامه وايضاح مبادئه واظهار مراميه ونشر دعوته إلى الإسلام لله رب العالمين وابلاغها للناس بصياغة أحسن القصص وضرب الأمثلة واحكام الأدلة وإتقان العرض وتفصيل الشريعة.

والقصص في القرآن الكريم لا يسرد إلا لمواجهة حالة واقعة بالفعل لأنه يواجه حالة معينة، فإن الحقيقة التي تذكر منها والحلقة التي تعرض في موضع من المواضع مقدرة بقدر الحالة الواقعة وفي جوها ومعرفة أسباب النزول والظروف التي كانت تحيط بالدعوة والداعي صلى الله عليه وسلم لها أهمية في بيان الحقيقة بحيث يصدق القول بأن القصص طريق من طرق إبلاغ رسالة الإسلام وإن القرآن الكريم لم يقص قصة إلا ليواجه بها حالة وأنه لا يقرر حقيقة إلا ليغير بها، وإن حقائقه ليست للنظر المجرد ولا قصصه لمجرد الإمتاع، بل تحوي المبدأ والأهداف وتدعو إلى الخير والهدى، وتنهى عن الشر والضلال، والقرآن الكريم بذلك مَثَل يُحتَذى به في الدعوة إلى الله تعالى.

والقصة تصوّر نواحي الحياة، فتعرض الأشخاص وأفكارهم واتجاهات نفوسهم، وبيئاتهم، وتمد الإنسان بما يستكن في النفوس من طباع، وما

يهجس من خواطر، فيشرح الصدر بأهل الخير ويضيق بأهل السوء، والنفس تميل إليها؛ لأن حب الاستطلاع يعلق السمع، ويشد الانتباه إلى ما يدور، لاستنتاج الحقائق والخلوص إلى بقية الأخبار ونهاية الحوار.

والقصة من أفضل الوسائل التي يسلكها الدعاة إلى الله في أداء مهمتهم، وابلاغ تعاليم الإسلام إلى الناس في صورة عملية حية، تحرك الوجدان، وترفع نبض المشاعر وتجعل النفوس أوعية مفتوحة والقلوب مستعدة ومهيأة ليصب فيها الدعاة إلى الله مما أفاض الله عليهم من الوعظ والإرشاد والنصح، وتذكير المؤمنين بربهم ترغيبًا وترهيبًا؛ وجل القصص في القرآن الكريم تنزلت في المرحلة المكية لبناء عقيدة التوحيد في واقع معقد، ارتبط فيها الناس بالعصبية المقوتة والقبلية البغيضة، القائمة على حب النفس والتعالي على الغير، والاعتزاز بما تركه أجدادهم من تراث وثني يقوم على تقديس الخرافة والوهم، في بيئة صعبة جافة المنابع الروحية والفكرية؛ مما جعل تغيير هذا الواقع من الأمور التي تحتاج إلى أقصى جهد، نتيجة للعوامل المؤثرة، وخاصة إذا كان التعصب لما كان عليه الأجداد يدعو إلى الجمود، ومقاومة كل جديد.

وإذا كان الله تعالى قد صاغ القصة في القرآن الكريم على جمع ما تفرق من أجزائها وحلقاتها للإحاطة بمضمونها ومغزاها والمقارنة والاستنتاج عندما تذكر في أكثر من موضع، فإنه لا يسوغ التفصيل فيما أجمله القرآن واستقصاء ما أعرض عنه قصدًا من جزئيات لم ترد في حديث نبوي صحيح، تجنبًا للبعد عن الهدف الذي من أجله سيقت القصة؛ كما ينبغي تجنب ما فيها فجوات، حتى لا يضيع المغزى الذي قصدته، والقرآن نفسه بيان لكل شيء يراد منه.

هدف القصة في القرآن الكريم:

تقرير العقيدة، وتوجيه النفس إلى الله توجيها تظهر آثاره في المشاعر والتصورات، وفي السلوك والتصرفات وغرس الشعور بالسلطان الأعلى، ولا حاجة إذن إلى ما يمليه الخيال.

وقد أدرك هذا الهدف أعداء الإسلام فأرادوا مقاومته بقصص أخرى، في هذا الجانب الخيالي فزاد موقفهم به ضعفًا، وكانوا غاية في الهزل وركاكة التعبير وجهامة التصوير وسفاهة المنطق في وجه ذلك البيان القرآني المعجز، والسلطان القاهر الذي يأخذ بالألباب ويسرح بالنفس في أعلى الأفق. وهو بكل المقاييس أحسن القصص وأجداها وأفضلها وأجملها وأحلاها.

والقصة في القرآن الكريم لها أثرها البالغ في إقناع المخالفين عن طريق الجدال والحوار الذي حوته وبيانها لسمو العقيدة، ونبل أهدافها وشرف غايتها وعرض صور من الحياة ومقاطع من التاريخ ومواقف في المعاملات وأحداث من الواقع تسمع خلالها أصداء النفوس في جهرها وفحواها، حين تزيغ في مدارج الحيرة أو تتردى في مهاوي الشر، وتعتسف الطريق إلى الله.

وحين تستقيم على الصراط تفعل الخير وتضرب المثل لكل من يبتغي الحق أو يطلب الكمال وينشد الصلاح والإصلاح ومن خلال ذلك يتفكر الإنسان في نفسه ويسلك الطريق الذي اختاره، وهو على بينة تامة بثمرة الهدى ونهاية الضلال.

ومن هذا المنطلق يصح القول بأن القصة في القرآن قصة ملتزمة بأهدافها ومراميها الداعية إلى استقامة النفس، وسلامة القلب ورجحان العقل وحسن الخلق والنهي عن الظلم والفساد وقتل النفوس البريئة وأكل أموال الناس بالباطل وهتك الأعراض وقذف المحصنات. وهي آية على صدق من جاء بها من عند الله وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه الله بقوله: (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) الأعراف: ١٧٦.

وقصص الأنبياء في القرآن يعرض على مسامع الخطباء من الدعاة وقائع فيها تصوير لواقع، كأنهم يرون ويشاهدون الحالة المعروضة من خوف أو عقاب أو انزعاج أو جحود وكأن المعاني صور واضحة في الشخص المتحدث عنه، وكأن مصورًا متحركًا يصوره في مشهد من الألفاظ والأساليب الرائعة.

والقصص في القرآن الكريم لم يقتصر على قصص الأنبياء وحدهم بل أورد الكثير من

القصص كقصة أصحاب الجنة في سورة القلم التي وردت بسبب الحديث عن المال والبنين، وإشعار العباد بأن ما في أيديهم إنما هو ابتلاء من الله لهم، كما ابتلى أصحاب الجنة التي كشفت الحوادث فيها عن فضل الله وقدرته ومجازاة عباده بما يستحقون من دوام النعمة، أو الحرمان منها بنقلها إلى غيرهم ليبتلوا من جديد وبينت القصة كيد الإنسان العاجز الضعيف محدود القدرات أمام كيد الخالق القادر الكريم.

لقد كان أصحاب الجنة ورثة لرجل صالح يعطى المساكين حقهم من مال الله الذي أتاه إياه، ولكنهم كانوا على غير ما كان عليه من صلاح وتقوى، فعقدوا العزم وأقسموا. وكان الحرمان الذي أزمعوه حرمانًا لهم فزالت النعمة من أيديهم وصورت القصة غفلتهم عن قدرة الله وهم في الصباح ينادي بعضهم بعضا، ويحتاطون حتى لا يعلم المساكين وكانوا على منعهم حقهم قادرين، وكانت المفاجأة حين رأوا الجنة فأنكروها لما تبدلت فذهب ثمرها فلا خضرة ولا نضرة، فلما تبينوا الأمر ندموا وتلاوموا كعادة كل المتآمرين

والقصة تحمل على المكذبين وتبين عاقبتهم وفيها صورة لنفس الحريص الغافل عن سلطان الله تعالى ورضائه وان كل شيء عنده بحساب، وبينت حال المانعين للخير وما يدور في حنايا نفوسهم ويجول في خواطرهم، وكيف يأتيهم الندم وما يعقبه من التوبة النصوح والرجاء في عفو الله ونيل رضاه وكل ذي مال وبنين، مناع للخير يعتريه الغرور بما أتاه الله من فضله فيدفعه إلى الكفر بالنعمة وحرمان الناس منها تكون عقوبته الحرمان مما طغى بسببه فضلا عن الجزاء الذي سيلقاه من رب العالمين إلا إذا تدارك الأمر قبل فوات الأوان فتدركه نعمة الله ورحمته وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وتبين القصة أن الزكاة تطهر المال وتنميه وتحميه وأن العاقبة الحسية تؤثر في النفوس إذا كان فيها قابلية للهداية.

ولقد استفاد أصحاب الجنة بالعظة ما هو أعظم مما فقدوه من الثمر؛ لأن ثمرات القلوب أطيب، والشر لا يمكن الاجماع عليه، بل هو أمر مخالف للفطرة ولا بد من قائم لله بحجة قد لا تسمعها وقت الرخاء والسعة، ولكنها تسمع عندما تأتي لحظة الندم أو وقت الشدة، فيكون له محمود الأثر، وأوسط القوم كان حجة الله عليهم، والتذكير يوقظ الضمائر ويجعل النفوس لوامة على ما فعلت وتعود إلى من بيده كشف الضر ورفع البلاء وفك الكرب وإزاحة الهم والحزن وهو يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وهي تصوير بارع لحال من يطغيه الاستغناء ويحرم نعمة الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه، فيفاجأ بأن قدرة الله ترد طغيانه وتمنع طمعه.

ومن الأهداف التي من أجلها جاءت القصص في القرآن، ألا يضيق النبي صلى الله عليه وسلم ذرعًا بمواقف قومه منه وعنادهم ومبالغتهم في التكذيب واللجاج؛ فله صلى الله عليه وسلم أسوة في الأنبياء عليهم السلام الذين جاءوا أقوامهم بمثل ما جاء به وأصروا على ما كذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصر الله، وفي ذلك إنذار للمشركين وتذكير لهم بما حل بمن سبقهم من الأمم التي كذبت وأعرضت عن هدي الله، ومن أجل ذلك كانت الإشارة إلى قصص الأنبياء عليهم السلام مبكرًا في القرآن حيث جاء في السورة الثانية في ترتيب النزول قوله تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ) القلم: ٤٨.

ومن أبرز أساليب الدعوة: القصة فهي شارحة للرسالة تغرس التعاليم الإسلامية في القلوب وتبين كيف خطت رسالة الإسلام الخالدة مجراها في الحياة بين الناس منذ القدم، فدين الإسلام هو دين الأنبياء والرسل عليهم السلام لا دين لهم غيره، ويوضح كيف تغلبت العقبات التي اعترضت طريق الدعوة إلى الله.

وهو ما سنبينه في الموضوع القادم؛ إن شاء الله، والله المستعان.

خمسون عامًا مع مجلة التوحيد ... إبداع وريادة

إعداد محمد محمود فتحي

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد:

ما أعجل الأيام حين تمر سراعًا فتطوي صحائف العمر بين دفتيها، وها نحن نحتفي بمرور نصف قرن علي إصدار مجلة التوحيد الرائدة دينيًا وثقافيًا، ولا شك أن من الكلمات الطيبة الخادمة لكلمة التوحيد ذات الأصل الثابت والتي تلامس فروعها السماء حية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا بمرور الأعوام، فهي ليست آلات طباعة أو قصاصات ورق، وليست حروفا وألوانا علي ورق مصقول أو خشن،

إنما هي في الأساس والأصل دعوة ومنهج حياة ، وهي بعد ذلك علاقة وطيدة بين الكاتب والقارئ تشبه علاقة الولاء والود، وهي أيضا علاقة يقظة ذكية مع الأحداث الجارية، ومجلتنا الغراء كانت وما زالت لسان حق ونبراس صدق في أزمنة الغربة المتعاقبة.

لذلك كان من اللائق بنا أن نلقي الضوء علي صرح إسلامي شامخ لطالما أنار الدروب المظلمة وسلط الضوء علي كثير من قضايانا الشائكة بلغة فصيحة جزلة وأسلوب علمي متين ومنطق حلو سليم وفكر وسطي مستنير لا يحابي ولا يخشى أحدًا إلا الله تبارك وتعالي .

وقد كان لظهور مجلة التوحيد خلفًا لمجلة الهدي النبوي ذلك الصدى المدوي في أروقة الصحافة الإسلامية، وكان بمثابة إختراقًا لحاجز الصوت في سماء الوعي الإسلامي في العصر الحديث.

إننا اليوم ننظر بعين الإكبار إليها، نخوض بحور علومها ونبحر من خلالها، والأمل يحدونا بطبيعة الحال أن تستمر الجهود وأن لا ينقطع السبيل، وأن تظل مجلة التوحيد شريكة في النهضة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين بعد ركود دام لسنوات.

بين العروة الوثقى والمنار

تعتبر مجلة العروة الوثقى التي أسسها الأستاذجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده عام (١٨٨٢م)، هي الأم لكل المجلات الإسلامية التي صدرت فيما بعد، ورغم أن هذه المجلة لم يصدر منها سوى (١٨) عددًا فقط إلا أن تأثيرها كان بعيد المدى وشديد المفعول، حيث استطاعت أن تحدث صيحة قوية وتنبه الأفكار وتوحد المسلمين، وطبعت القرن الرابع عشر الهجري بطابع جديد، وكان لها إسهام ريادي في سجلات النهضة العربية الباكرة.

وبعد ظهور مجلة العروة الوثقي وتوقفها بأربعة عشر عامًا أصدر الشيخ العلامة رشيد رضا مجلة المنار عام(١٨٩٨م) والتي كانت بمثابة الوريث الشرعي لها، والمنار مجلة إسلامية سلفية إصلاحية. كانت تضم بين صفحاتها شروحًا للعقيدة وتنشر الأخبار التي تأتيها من أطراف العالم الإسلامي، مع تفنيد لسياسات العالم الخارجي، غير أن أوسع أبوابها انتشارًا كان (تفسير المنار) وهو من شروح رشيد رضا الكبري للقرآن، وقد واظب علي كتابتها حتي وفاته دون أن يتمكن من إنهائها وقد صدر من مجلة المنار (١٠٠) عدد.

الهدي النبوي .. أول الغيث

كان لبزوغ نجم الهدي النبوي علي يد الشيخ العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله عام(١٣٥٦هـ/١٩٣٦م) الأثر البالغ علي الصحافة الإسلامية في العصر الحديث حيث أراد الشيخ الفقي إكمال مسيرة مجلة المنار التي توقفت بموت صاحبها رشيد رضا، ويدل علي ذلك قول الشيخ الفقي في العدد السادس من مجلة الهدي النبوي:(نشر السيد رشيد رضا رحمه الله في العدد الأخير من المجلد (٣٤) من المنار هذا البرنامج الذي وضعه لمجلته الغراء:

- تفسير القرآن بطريقة تبين عظمة الإسلام وجماله وكماله وصلاحه لكل زمان.
- شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان صحيحه وضعيفه وزائفه.
- دفع الشبهات وحل المشكلات، وذلك يكون في باب الفتاوى.
- نقد المطبوعات التي فيها أخطاء علمية أو دينية ضارة.
- بيان البدع والخرافات والتقاليد والعادات التى شوهت من جمال الإسلام.
- الأدب والأخلاق، لأن أدب النفس واللسان أكبر أنصار الدين على التهذيب وتكوين الأخلاق. أ.هـ، ولمناسبة دخول (الهدي) في عامها السادس رأينا أن ننشر هذا البرنامج، ويظهر أن طريق الإصلاح الحق لكل داع إلى سلوكها واحد، فقد كانت مجلة المنار هي المثل الأعلى فيما دعا إليه صاحبها رضوان الله عليه، ثم تبعتها مجلة الهدي من أول نشأتها من السير على هذا المنهج والحمد لله. ولعلها توسعت في بعض بنوده بما لم تدانيها فيه مجلة أخرى) (سلسلة رموز الإصلاح ١٩- العلامة محمد حامد الفقي).

قام الشيخ محمد حامد الفقي مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بتأسيس مجلة الهدي النبوي لتكون لسان حال جماعته والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها، لخص الفقي غرضه الإصلاحي من هذه المجلة فقال في افتتاحية العدد الأول: "واعلم أنه لا يعود بالمسلمين سيرتهم الأولى ويرد إلى قلوبهم شجاعتهم وغيرتها إلا تضافر أيدي أولئك النفر الوسط المهتدين وجمع قواهم ونهوضهم إلى انتشال من اجتيالتهم الشياطين عن دينهم والعمل على إظهار محاسن الإسلام.

ولقد أصبح ذلك العمل غير ميسور على وجهه الأكمل إلا بواسطة الصحف التي تنتشر في البلاد وتدخل على كل أمير وحقير وكبير وصغير، فإنشاء الصحف الإسلامية بلسان أولئك المصلحين من أنجع الوسائل في هذا الزمان لمعالجة أمراض المسلمين الدينية والأخلاقية، ولطالما تمنت نفسي إصدار صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلى صوت المصلحين وتدعو إلى الحق والرشاد والصلاح، ولقد حقق الله الأمنية وهو المستعان، فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة (الهدي النبوي) لتحقيق ما سبق ذكره من معالجة الأمراض والأدواء التي تنخر جسم المجتمع الإسلامي في هذا العصر والله ولي التوفيق".

وتنوعت مقالات المجلة بين القضايا الشرعية والأدبيـة والاجتماعية والسياسية، وكان لقضية فلسطين حضور بارز على صفحاتها، وكذلك أحوال البلاد الإسلامية.
وكانت (الهدي النبوي) تتشرف بمقالات عدد من الأعـلام، وعلى سبيل المثال لا الحصر: الشيخ أحمد محمد شاكر، الأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ محيي الدين عبد الحميد، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ أبو الوفاء محمد درويش، والشيخ صادق عرنوس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ خليل هراس، الشيخ محمود شلتوت.
وقد تولى الفقي رئاسة تحرير (الهدي النبوي) منذ نشأتها حتى وفاته، وفي سنة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، عهد مجلس إدارة الجماعة إلي الشيخ أحـمـد شاكر بتولي منصب مدير التحرير بالمجلة، لكنه لم يستمر بسبب عودته للقضاء.
وكانت (الهدي النبوي) توزع في مصر وخارجها، وكانت سفير الجماعة للعالم الإسلامي، وأصبح لها مشتركون وأنصار من بلاد عديدة، كتب الفقي في افتتاحية السنة الثانية من المجلة: "ولقد لقيت مجلة الهدي النبوي في عامها الماضي تعضيدًا ومساعدة على نشرها وإذاعتها وترويجًا في الأوساط المختلفة ما لم تكن تحلم بـه، حتى لقد كانت تنفد بعض أعدادها في أسبوع واحد وذلك بهمة إخواننا أنصار السنة المحمدية المنتشرين الآن بحمد الله في نواحي كثيرة من مصر والسودان والحجاز ونجد والشام والهند وجاوا والعراق والمغرب كثر الله سوادهم وأيدهم بروح منه، وجزاهم عنا أحسن الجزاء".
وفي السنة الثانية عشرة من عمرها كانت تطبع ٢٥٠٠ نسخة، منهم ٦٠٠ مشترك من خارج مصر، وهو رقم كبير بمقاييس ذلك الزمان.
(جماعة أنصار السنة المحمدية، د. أحمد محمد الطاهر، دار الهدي النبوي بالقاهرة ودار الفضيلة بالرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

خمسون عاما من مجلة التوحيد

خمسون عامًا ، يكبر الإنسان ، يشيب رأسه، تتجعد بشرته، تبهت ألوانه، ويخر عزمه، ومجلتنا الغراء لا تزال شابة فتية متألقة، تزف نفسها إلينا كل شهر هجري وهي تضيف لثوبها كل جديد وجميل.

نصف قرن من الزمان وهي مرآة للنهضة الإسلامية، لقد احترمت عقل القارئ وأزالت عنه غشاوة الجهل وسخافات الموروثات الباطلة، فبادلها حبًا وثقة وتعامل معها كمرجعية إسلامية يتأثر بها وتؤثر فيه، لقد حققت التوحيد لاسمها مكانة عالية في عالم الصحافة الإسلامية جعلها تتقدم عامًا بعد عام لتصبح المجلة الإسلامية الأكثر رواجًا في عالمنا الإسلامي.
خمسون عامًا ونحن نتنقل بين الصفحات لنجد زادًا منوعًا من تفسير وفقه وحديث وآداب وشعر وتاريخ وأخبار العلم والعلماء ، واقتصاد إسلامي، وأخبار العالم الإسلامي في شتى ربوع الأرض، وتسلط الضوء علي القضايا المعاصرة التي تمس الأمة الإسلامية وتؤثر في كيانها ، وعلي واقعنا العربي بكل متغيراته.
وقد حدد الشيخ/حامد الفقي رحمه الله أغراض المجلة فقال(وان من أول أغراض المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وارشاد في الشئون الدينية والأخلاقية، وأخذت علي نفسها موثقًا من الله أن تنصح فيما تقول وأن تتحري الحق وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلي الله عليه وسلم).(جماعة أنصار السنة ، نشأتها- أهدافها- رجالها).
وقد حرصت منذ البداية علي التنوع الدائم في موادها، واضافة أبواب جديدة بما لا يخل بالأساس المتين الذي تأسست عليه منذ النشأة الأولي.
وقد استهلت عامها الأول (العدد ١ /محرم/ ١٣٩٣هـ)، بمقال بعنوان (لماذا التوحيد) للشيخ الأستاذ/ محمد عبد المجيد الشافعي (رشاد الشافعي) الرئيس الأول لمجلس إدارتها ورئيس التحرير رحمه الله، لتنهي عامها الخمسين (العدد ٦٠٠ /ذوالحجة/١٤٤٢هـ) بترسيخ للمبدأ الذي بنيت عليه وبتوافق عجيب بمقال بعنوان(من معالم التوحيد في الحج) للأستاذ الدكتور/ عبد الله شاكر الجنيدي رئيس مجلس إدارتها الحالي، وخلال نصف قرن تزاحم بين أروقتها ذلك الكم الهائل من المقالات والتي بلغ عددها (٩٠٣٣ مقال/ ٦٠٠ عدد).
أما بالنسبة لطباعة المجلة فقد وصلت لأرقام

غير مسبوقة، ففي السنة الثالثة والثلاثون من عمرها كانت تطبع ١٥٠ ألف نسخة، منهم ٦٠٠٠ مشترك من خارج مصر.

لقد بذل المؤسسون الأوائل، من رؤساء مجلس إدارتها ورؤساء تحريرها الذين هندسوا انجازاتها، وكذلك الكتاب الذين شاركوا المجلة قضاياها وطموحاتها، جهدًا منقطع النظير خلال السنوات الماضية.

رؤساء مجلس إدارتها في نصف قرن

١- الأستاذ الشيخ/محمد عبد المجيد الشافعي (رشاد الشافعي) رحمه الله

هو أول من جمع بين رئاسة مجلس الإدارة ورئاسة التحرير، وكان أول مقال له بعنوان (لماذا التوحيد)، وآخر مقال بعنوان (مؤامرة خبيثة لطعن الإسلام في شخص فضيلة الشيخ محمد الغزالي)، وبلغ عدد مقالاته (٣٠ مقالا).

٢- الشيخ/محمد علي عبد الرحيم رحمه الله

آخر مقال له بعنوان (صحوة إسلامية في ظل السنة المطهرة)، وبلغ عدد مقالاته (٢٧١ مقالاً).

٣- الشيخ/ محمد صفوت نور الدين

أول مقال له بعنوان (بيان الرئيس العام)، وآخر مقال (الشيطان وخراب البيوت)، وبلغ عدد مقالاته (١٦٩ مقالاً).

٤- الدكتور/ جمال المراكبي

أول مقال له بعنوان (رحيل عام وإقبال عام)، وآخر مقال له (من أجل التوحيد بني البيت العتيق)، وبلغ عدد مقالاته (٨٢ مقالا).

٥- الأستاذ الدكتور/ عبد الله شاكر الجنيدي

أول مقال له بعنوان (شهر الله المحرم وما أحدث الناس فيه)، وآخر مقال له (من معالم التوحيد في الحج)، وبلغ عدد مقالاته (١٤٠ مقالاً). (موقع محبي مجلة التوحيد).

رؤساء تحريرها في نصف قرن

١- الأستاذ الشيخ/محمد عبد المجيد الشافعي (رشاد الشافعي) رحمه الله

وقد أشرنا إليه سابقًا.

٢- الأستاذ/ عنتر أحمد حشاد

أول مقال له بعنوان (دعوة حق)، وآخر مقال له (باب التفسير: سورة البقرة «الآيات: ٩٧، ١٠٠»)، وبلغ عدد مقالاته (٥٦ مقالاً).

٣- الأستاذ/ أحمد فهمي أحمد

أول مقال له بعنوان (أخي قارئ مجلة التوحيد)، وآخر مقال له (فرحة ما تمت)، وبلغ عدد مقالاته (٢٣٣ مقالاً).

٤- الشيخ/ صفوت الشوادفي

أول مقال له بعنوان (هذه عقيدتنا... وهذا منهجنا)، وآخر مقال له (أنصار السنة والانتخابات)، وبلغ عدد مقالاته (١٠٥ مقالات).

٥- الدكتور/ جمال المراكبي

أول مقال له بعنوان (حقًا إنها أمانة)، وآخر مقال له (فقه التعبد)، وبلغ عدد مقالاته (١٠مقالات) وهذا قبل أن يتولى رئاسة مجلس إدارة المجلة .

٦- الأستاذ/ جمال سعد حاتم

أول مقال له بعنوان (الشعوب الإسلامية والوقوف خلف الجدران)، وآخر مقال له (حملات ممنهجة ضد الإسلام .. ومن يزرع الكراهية يحصد العنف)، وبلغ عدد مقالاته (٢٠١ مقال).

٧- الأستاذ/ حسين عطا القراط.

٨- الأستاذ/ مصطفى خليل أبو المعاطي.

(موقع محبي مجلة التوحيد).

مجلة التوحيد واستمرار العطاء

هكذا كانت البداية وهكذا كانت نبضة الحياة الأولي التي حركت الحياة في كيان هذه المطبوعة التي تعبر الآن نصف قرن من عمرها وتعد بالمزيد، وفي مواجهة تحديات زمن العولمة والأخطار التي تحدق بلغتنا العربية كمكون أساسي لهويتنا، كان لابد للمجلة من اللحاق بركب التقدم ، فتم إنشاء موقع مجلة التوحيد علي شبكة الانترنت الذي نطمح أن يتطور كثيرًا وكثيرًا في مقبل الأيام.

وهكذا تبدو مجلة التوحيد بعد عامها الخمسين، قادرة علي الانطلاق إلي المستقبل بما حباها الله من عقول مستنيرة أثبت أصحابها جميعًا فهمهم الكامل لإدارة مجلة إسلامية لها من نبل الرسالة وعمق التجربة وقوة المحتوي وحرفيته، ما يجعل منها أملاً للمستقبل وأداة من أدوات التثقيف التي يحتاج إليها أجيال المسلمين في الألفية الجديدة.

والحمد لله رب العالمين.

معارف الوحي

إعداد أ. د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من المعلوم أن الغيب هو ما لا تدركه الحواس، وله عدة تقسيمات بعدة اعتبارات، منها: ما هو غيب مطلق لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وقد قال عنه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٦).

ومنها غيب نسبي، يعلمه البعض دون الكل، وهو ما يريد الله سبحانه وتعالى أن يعلمه لأحد خلقه دون غيره، وفيه قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧).

ومن المقرر أيضًا أن هناك غيبًا يمكن الاستدلال عليه بالعقل، وهو ما يسمى بـ «الغيب المعقول»، وفيه ما لا يمكن العلم به إلا بدلالة الوحي، وهو ما يسمى بـ «الغيب المحض».

والفرق بينهما أنه لا بد في الغيب المعقول من واسطة محسوسة تكون دليلًا عليه من جهة كونها ظاهرة حادثة، وذلك وفق مبدأ السببية.

أما الغيب المحض فلا يمكن الاستدلال عليه بالعقل، وإنما يتوقف العلم به على دلالة الوحي؛ لأن الوحي يختص بذلك لأنه لا يمكن العلم اليقيني بالغيب المحض إلا من جهة الوحي؛ فقد قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩).

فمن الغيب المحض مثلا الذي لا يعلمه إلا صاحب الوحي الله فقال هو: حقيقة الروح، فقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

وكذلك علم الساعة ومتى تكون؟! قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣).

ومن أكبر الأمثلة على ذلك ما يتعلق بكيفية ذات الله سبحانه وأسمائه وصفاته وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، ويدخل في عموم الغيب المحض الذي يختص به الوحي صفات الله تعالى الخبرية، لأن العلم بها متوقف على الخبر لعدم إمكان الاستدلال العقلي عليها، وكذلك تفاصيل البرزخ والبعث

واليوم الآخر، وما يتعلق بالملائكة والجن والرسل والكتب والسابقة، وقد قررنا من قبل أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان آلة للإدراك تسمى: العقل، وقال عنها: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا » (الحج: ٤٦). وجعلها مناطًا للتكليف.

ومعلوم أن آلة الإدراك هذه تتفاوت من إنسان لإنسان آخر، وهذا الذي يجعل طبيعة النفس البشرية وتكوينها المعرفي محدودًا، مما يجعل هذا حكمة من حكم إرسال الرسل وهداية البشر إلى سواء السبيل.

فكانت هذه هي وظيفة الوحي الرئيسية التي اختصت به فجاء في الوحي ما يسمى بـ: التشريع. وابتنى على أساسين ضروريين لا غنى للإنسان -المشرع له- عنهما.

الأساس الأول: يتعلق بتوحيد الله تعالى وما يقتضيه من إفراد الله بالتشريع دون سواه.

والأساس الثاني: يرتبط بتلك الطبيعة للنفس البشرية وتكوينها المعرفي المحدود.

فأما الأساس الأول اختصاص الحق تبارك وتعالى بالتشريع؛ لأنه مقتضى ربوبيته، فهو مجرد الإلزام بمن له الحق بالأمر، والله تعالى هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير، فقال تعالى: « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » (الملك: ١٤)، فلزم أن يكون له الأمر الشرعي كما له سبحانه الأمر الكوني، « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » (الأعراف: ٥٤).

وليعلم كل عاقل أن الايمان بالله وحده لا يتحقق إلا بالتسليم له في أمره الكوني والشرعي معًا؛ ولهذا جاء حكاية عن الذين فرقوا بين الأمرين قوله تعالى: « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ » (يوسف: ١٠٦). لأنهم آمنوا بالأمر الكوني فقط، دون الأمر الشرعي.

أما الأساس الثاني الذي يقوم عليه اختصاص الوحي بالتشريع، فهو أن البشر إدراكهم متفاوت ومع الوصول إلى أعلى درجة من الإدراك -إن حصلت- سيكون الطبيعة المعرفية لهم ناقصة محدودة، فلزم أن يدرك البشر أنهم لا يستطيعون الاستقلال بالتشريع لأنفسهم، لا فيما يدل على طرق التعبد لله تعالى، ولا فيما يتعلق بأمور المعاملات.

أما ما يتعلق بأمور العبادات فحقٌ ظاهر أنه لله تعالى المتفرد بما يحبه ويرضاه سبحانه وتعالى. وأما العقود والمعاملات فترك الله جل وعلا فيها الأمور للإباحة ما لم يترتب عليها حرمة أو خطر بخلاف العبادات.

فكما لا يصح لأحد أن يتقرب إلى الله إلا بما دل عليه الشرع، فكذلك لا يصح لأحد أن يحرم شيئًا من أمور العقود والمعاملات إلا بشرع.

وهذا ليس معناه أن الناس يمكنهم أن يستقلوا بإدراك أحكامه من عند أنفسهم، وما يتضمنه من مصالح ومفاسد كذلك، بل هم في أشد الضرورة إلى الشرع في ذلك، لأن احتياجهم لمعرفة المصالح والمفاسد يترتب على معرفة ذلك من الشرع.

وبهذا نفهم كلام أهل العلم سابقًا -كما قال ابن القيم رحمه الله-: «دلالة الفطرة إجمالية ودلالة الوحي تفصيلية»؛ فقد تنحرف الفطرة وتتغير، فلا يمكنها التمييز بين ما يصلح وما يفسد من الأفعال، أو قد يكون الفعل نفسه صالح في وقت وفاسد في وقت آخر، والعكس؟ نظرًا لاختلاف الأحوال، والعقل لا يمكنه إدراك ذلك، بل قد يكون الفعل صالح لإنسان غير صالح لغيره، وهذا مما هو مقرر ومعلوم.

فالشرائع إنما جاءت بالتفصيل في تقرير المصالح والمفاسد بما يطابق الفطرة، لا بما يناقضها، لذلك استحالة استقلال الناس بالتشريع ضرورة نفسية واقعية، على خلاف ما يحكم به أصحاب الفكر المادي مع علمهم بقصور البشر عن بلوغ الحقيقة التي تطمئن إليها نفوسهم فيما يتعلق بما يضعونه من أسس وقواعد تضاهي التشريع، ولا يسلمون بضرورة الاعتماد على التشريع الإلهي في ذلك.

وصل الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

الشباب عماد الأمَّة (١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعدُ:
فإذا نظرنا بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدناها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل؛ لأننا ونحن نهتم بالشباب نستثمر مواهبه، ونُطلق طاقاته ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المُغير، وفترة الشباب فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير.. هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متينًا كان البناء قويًا شامخ الذُّرى، والعكس. فكلمة الشباب وجميع مشتقاتها تشير إلى معنى القوة والفتوة والحداثة والجمال والنماء. فالشؤبوب هو الدفعة من المطر، وأول كل شيء وشدةُ دفعه، يطلق كذلك على شدة حر الشمس. وفرس مشب هائج متمرد عصيّ القياد، والشباب بالكسر النشاط، وكل هذا يعني القوة والحيوية.

إعداد: د. جمال عبد الرحمن

معنى الشباب لغة:

الشِّينُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءِ الشَّيْءِ، وَقُوَّتِه فِي حَرَارَةٍ تَعْتَرِيه. مِنْ ذَلِكَ شَبَبْتُ النَّارَ أَشُبُّهَا شَبًّا وَشُبُوبًا. وَهُوَ مَصْدَرُ شَبَّتْ. وَكَذَلِكَ شَبَبْتُ الْحَرْبَ، إِذَا أَوْقَدْتَهَا. فَالْأَصْلُ هَذَا. ثُمَّ اشْتُقَّ مِنْهُ الشَّبَابُ، الَّذِي هُوَ خِلَافُ الشَّيْبِ. يُقَالُ: شَبَّ الْغُلَامُ شَبِيبًا وَشَبَابًا، وَالشَّبَابُ أَيْضًا: جَمْعُ شَابٍّ، وَذَلِكَ هُوَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ بِقُوَّةِ جِسْمِهِ وَحَرَارَتِهِ. ثُمَّ يُقَالُ فَرْقًا: شَبَّ الْفَرَسُ شِبَابًا، بِكَسْرِ الشِّينِ، وَذَلِكَ إِذَا نَشِطَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ جَمِيعًا. وَالشَّبِيبَةُ: الشَّبَابُ. وَمِنَ الْبَابِ: الشَّبَبُ: الْفَتِيُّ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ. (مقاييس اللغة: ٣/ ١٧٧).

وما استحق شيء أن يأسف عليه الناس ويتحسروا لفواته؛ يشكون مصابهم ويذكرون فجيعتهم ويبكون على زمانهم مثل بكائهم على الشباب.

قال أبو العتاهية رحمه الله:

عَرِيتُ من الشباب وكنت غضًا
كما يعرى من الورَق القضيب
ونُحتُ على الشباب بدمع عيني
فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا أسفًا أسفتُ على شباب
نعاه الشيب والرأس الخضيب

ألا ليت الشباب يعود يومًا
فأخبره بما فعل المشيب

(كتاب الفاضل للمبرد ت:٢٨٥؛ ص: ٧٧).

قال الزبيدي: إذا فالشباب هو القوة والفتوة. وفي المصباح: "الفتى في الأصل يقال للشاب الحديث، ثم استعير للعبد وإن كان شيخا (يطلق عليه) مجازا لتسميته باسم ما كان عليه. وقوله تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه﴾: جاء في التفسير أنه يوشع بن نون، سماه بذلك لأنه كان يخدمه في سفره، ودليله قول: ﴿آتنا غداءنا) (تاج العروس للزبيدي ت:١٢٠٥؛ ٣٩/ ٢٠٨).

وقال مُحمّد بنُ حبيب: زمَنُ الغُلوميّة سبْعَ عشرةَ سَنَةً مُنذُ يُولدُ إلى أن يستكملَها، ثمّ زمَنُ الشّبابيّة منْها إلى أنْ يستكمل إحْدَى وخمْسين سنة، ثمّ هوَ شيْخٌ إلى أنْ يمُوت وقيل: الشّابُ البالغُ إلى أنْ يكمل ثلاثين. وقيل: ابنُ ستّ عشْرةَ إلى اثنتيْن وثلاثين، ثمّ هُو كهْل. (تاج العروس للزبيدي ت: ١٢٠٥؛ ٢/ ٩٢).

وقد ظهر مثل هذا المعنى من كلام الزبيدي في قول الله تعالى عن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام :"فلمّا بلغ معه السّعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظرْ ماذا ترى" (الصافات/١٠٢). قال الإمام الطبري رحمه الله: وقوله (فلمّا بلغ معه السّعي) يقول: فلما بلغ الغلام الذي بُشر به إبراهيم مع إبراهيم العمل، وهو السعي، وذلك حين أطاق معونته على عمله. (تفسير الطبري ٢١/ ٧٣).

وكل هذا يعد بداية الشباب. ومع أنها البداية لكنها بداية الرجولة والعقل ذي الحجة، الأمر الذي جعل إبراهيم عليه السلام يستشير ولده في ذلك:" فانظرْ ماذا ترى قال يا أبت افعلْ ما تؤمرُ ستجدُني إنْ شاء الله منَ الصّابرين"(الصافات/١٠٢-١٠٣).

نعم الشباب ونعمت التربية:

وخلاصة الأمر أن الشباب نماء الشيء وقوته في حرارة وملهبة واندفاع يعتريه، والفتى والفتاة: الشاب والشابة. وقد جاء في حديث حجة النبي صلى الله عليه وسلم عن علي رضي الله عنه أن امرأةً شابّةً منْ خثْعمَ أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إنّ أبي شيْخٌ قدْ أفْند (خرف)، وقدْ أدْركتْه فريضةُ الله في الحجّ. فهلْ يُجزئُ أنْ أحجّ عنْه؟ قال: "نعمْ. فأدّي عن أبيك". قال: ولوى عُنق الفضْل، فقال له العبّاسُ: يا رسُول الله، ما لك لويْت عُنق ابْن عمّك؟ قال: "رأيْتُ شابًّا وشابّةً فخفْتُ الشّيْطان عليْهما". (مسند أحمد ح ١٣٤٨).

الشباب في القرآن والسنة:

لم يذكر لفظ الشباب صراحة في القرآن الكريم وإنما ذكر بمعناه وما يدل عليه، فإذا كان الشاب هو الفتى كما سبق بيانه، فقد جاءت كلمة فتى ومشتقاتها بكثرة، كما ذكر وقت البلوغ وهو بداية الشباب. وقد قال الله تعالى عن بداية سن الشباب: " ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾". (النساء:٦).

قال مقاتل رحمه الله: يقول: اختبروا عقولهم "حتى إذا بلغوا النكاح" يعني: الحلم "فإن آنستم منهم رشدا" معشر الأولياء والأوصياء: صلاحا في دينهم وحفظا لأموالهم "فادفعوا إليهم أموالهم" التي معكم "ولا تأكلوها إسرافا" يعني بغير حق "وبدارا أن يكبروا" يقول يبادر أكلها خشية أن يبلغ اليتيم الحلم فيأخذ منه ماله". (تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٣٥٨).

وقال السعدي رحمه الله: الابتلاء: هو الاختبار والامتحان، وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشده، شيئا من ماله، ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشده من سفهه، فإن استمر غير محسن للتصرف لم يدفع إليه ماله، بل هو باقٍ على سفهه، ولو بلغ عمرا

كثيرًا. فإن تبين رشده وصلاحه في ماله وبلغ النكاح ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ كاملة موفرة. (تفسير السعدي ص: ١٦٤).

وهـذا يـدل على عناية الإسـلام بهذا النشء حتى يشتد عـوده ويقـوى ساعده ويبلغ في الحياة سعيه. وقد سبق الحديث عن بلوغ إسماعيل عليه السلام السعي مع أبيه.

كما ذكـر القـرآن الكريم رعايته للفتاة اليتيمة الشابة التي يربيها وليها عنده، إذا بلغت وأراد مربيها أن يتزوجها أو يزوجها ابنه، وخشي أن يبخسها من مهرها شيئًا؛ لأنه رباها وكفلها بأن يخرج من الخلاف وينكح ما طاب من النساء غيرها. قال تعالى: "وإنْ خفتمْ ألا تُقسطوا في اليتامى فانكحُوا ما طابَ لكمْ منَ النسَاء مثنى وثلاث ورُباع...".

قـال الطبري رحمه الله:" وإن خفتم، يا معشر أولياء اليتامى، أن لا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه، وتبلغوا بصداقهنّ صدقات أمثالهنّ، فلا تنكحوهن، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن، مـن واحـدة إلـى أربع". (تفسير الطبري ٧/ ٥٣١).

وجاء حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يوضح ذلك. قال عُـرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ، إِنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ". قَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي: هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا فَتُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ، فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا فَيُعْطِيهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ، وَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ". (سنن أبي داود ح ٢٠٦٨).

والقرآن ذاخر بالنماذج الكثيرة التي ذكرت أمر الشباب والشابات ليس لفظا ولكن دلالة، ونقتصر على ما أوردنا منها. أما السنة المطهرة فحديثها فوق الحصر عن الشباب وأهميته، وعظمة العناية به، وخطورة إهماله.

ونشير في هذا المقال مجرد إشارة فقط إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع هـؤلاء الشباب في دورات علمية تستغرق الأسابيع ليسقيهم العلم بالتلقين من المعلم وصحبة الأستاذ.

عن مالك بْنِ الحويرث، قال: أَتَيْنَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»". متفق عليه. وهذا لفظ البخاري ح٦٠٠٨. وفي رواية للبخاري أيضا: "وصلوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي".

فلا عجب إن وجدنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يوجه بحسن الاستفادة من هذه الفترة فيقول: "اغتنم خمسًا قبل خمس: وذكر منها شبابك قبل هرمك، وإنما خصّ النبي عليه الصلاة والسلام الشباب بوصيته الغالية لحاجتهم إليها. والشباب في هذه السن الباكرة يكونون أصلح للتربية والتوجيه، وأسمع للنصح والتنبيه، فإذا وجـدوا من يأخذ بأيديهم اتبعوه، وعملوا بأمره.

وأما حديث "الشباب شعبة من الجنون، والنساء حبائل الشيطان". فهو حديث ضعيف جدا منكر المتن وإسناده واه وهو ظلمات بعضها فـوق بعض. وكذلك حديث " بعثتُ بشيرًا ونذيرًا فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ". فهو حديث موضوع من وضع الرافضة للطعن على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

من هنا كانت عناية الإسلام بالشباب، لصيانته من الانحراف الفكري والتدهور الخلقي والضعف العقلي. أما إذا أهمل إهمال البهائم بلا رعاية، انهدم كيانه، واستشرى خطره وفساده، فأصبح نقمة بعد أن كان نعمة، ومحنة بعد أن كان منحة، وبلاءً بعد أن كان منحة وعطاءً.

وللحديث بقية إن شاء الله.

قصة مفتراة على جبريل عليه السلام مع المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم

إعداد علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نواصل في هذا البحث تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) من أهم أسباب ذكر هذه القصة أنها ذكرت سببًا لنزول الآية الخامسة والتسعين من سورة الحجر، ويقول الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة (٤٦٨هـ) في كتابه «أسباب النزول» ص(٨). ط: دار الهلال- بيروت: «لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب؛ وبحثوا عن علمها». اهـ.

٢) وبعد أن بيّن الإمام الواحدي، منهج كبار التابعين من أصحاب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بين سبب تأليفه لكتابه «أسباب النزول»؛ حيث قارن بين هذا المنهج في عصر الصحابة وبين ما يحدث في عصره وهو المتوفى سنة (٤٦٨هـ) قال: «وأما اليوم فكل أحد يخترع شيئًا، ويختلق إفكًا وكذبًا ملقيًا زمامه إلى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية، وذلك الذي حدا بي إلى إملاء هذا الكتاب الجامع للأسباب، لينتهي إليه طالبو هذا الشأن، والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق، ويستغنوا عن التمويه والكذب». اهـ.

قلت: ولقد ذكر الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٥١٢/١٦٩/١١) كتاب «أسباب النزول» للواحدي فقال: «الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، صاحب التفسير صنف التفاسير الثلاثة: «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز» وله كتاب «أسباب النزول»....».اهـ.

٣) نقد الإمام الحافظ السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) لكتاب «أسباب النزول» للواحدي،

قال السيوطي في كتابه «لباب النقول في أسباب النزول» ص(١٦) ط: دار إحياء العلوم- بيروت، أشهر كتاب في هذا الفن الآن كتاب الواحدي، وكتابي هذا يتميز عليه بأمور:

أحدها: الاختصار.

ثانيها: الجمع الكثير فقد حوى زيادات كثيرة على ما ذكر الواحدي، وقد ميزتها بصورة (ك) رمزًا عليها.

ثالثها: عزوه كل حديث إلى من أخرجه من أصحاب الكتب المعتبرة؛ فذكر أكثر من عشرين كتابًا يعزو إليها، ثم قال: «وأما الواحدي فتارة يورد الحديث بإسناده، وفيه من التطويل عدم العلم بمخرج الحديث فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدي بشهرتها واعتمادها وركون الأنفس إليها، وتارة يورده مقطوعًا هل له إسناد أو لا». اهـ.

قلت: والإمام السيوطي رحمه الله يعزو إلى هذه الكتب المعتبرة كما بينا، وهذا ما يسمى بالتخريج، ولكنه خالٍ من التحقيق الذي به تُعرف درجة الحديث، وهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة شاهد على قولنا هذا.

ثانيا: القصة في «اللباب» للسيوطي:

أورد هذه القصة الإمام السيوطي في كتابه «لباب النقول في أسباب النزول» ص(١٣٢) قال: قوله تعالى: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» (الحجر: ٩٥)، (ك)، أخرج البزار، والطبراني عن أنس بن مالك قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل، فغمز جبريل بإصبعه، فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحًا حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ».

ثالثا: التطبيق العملي لمنهج السيوطي:

بالتطبيق العملي لمنهج السيوطي في كتابه «أسباب النزول» على الخبر الذي جاءت به هذه القصة نجد:

١) قوله (ك): يتبين منه أن هذا الخبر من زيادات السيوطي في كتابه «لباب النقول في أسباب النزول» على ما ذكره الواحدي في كتابه «أسباب النزول» والتي قال السيوطي: «وقد ميزتها بصورة (ك)».

٢) قول السيوطي: «إن كتابه هذا يتميز على كتاب الواحدي بعزو كل حديث إلى من خرَّجه من أصحاب الكتب المعتبرة». بتطبيقه على هذا الخبر الذي جاءت به القصة نجد أن السيوطي قال: «أخرجه البزار والطبراني عن أنس».

٣) الإمام السيوطي-عفا الله عنا وعنه- أورد الخبر الذي جاءت به القصة وخرجه بعزوه إلى البزار والطبراني دون بيان مرتبته من الصحة والضعف.

١) الخبر الذي جاءت به القصة في أسباب نزول الآية «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٢/٨) ح(٧١٢٣) قال: حدثنا محمد بن نوح بن حرب، قال: حدثنا محمد بن بكار العيشي، قال: حدثنا محمد بن عثمان القرشي، قال: حدثنا يزيد بن درهم عن أنس بن مالك قال: «مر النبي صلى الله عليه وسلم على أناس بمكة...» الحديث وختمه بقوله: «فأنزل الله: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» كما بينا آنفًا».

٢) وأخرجه الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده» (٥١٩/١٣) ح(٧٣٦٨) قال: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس به مختصرًا.

رابعًا: التحقيق:

١) هذا الخبر الذي جاءت به القصة غريب كما بين ذلك الأئمة.

أ) قال الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٣/٨) ط: المعارف بالرياض: «لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا يزيد بن درهم». اهـ.

ب) وقال الإمام الحافظ البزار في «مسنده»

(٥١٩/١٣): «ولا نعلم أسند يزيد بن درهم عن أنس إلا هذا الحديث، ولا نعلم رواه عن أنس غيره». اهـ.

فالحديث غريب عن أنس لم يروه عن أنس إلا يزيد بن درهم الذي سنبين ضعفه الشديد.

ج) قال السيوطي في «تدريب الراوي» (١٨٢/٢): «قال أحمد بن حنبل: لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء».

قلت: وهذا ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث فهو غريب وعن ضعيف شديد الضعف ثم قال السيوطي: وروى ابن عدي عن أبي يوسف قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب غريب الحديث كذب». اهـ.

٢) علة هذا الحديث يزيد بن درهم وهو الذي تفرد برواية هذا الحديث عن أنس فلم يروه عن أنس غيره كما بينا آنفًا.

أ) قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦٨٧/٤٢١/٤): «يزيد بن درهم، أبو العلاء عن أنس قال ابن معين: ليس بشيء».

ب) ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٤٩/٦) (٩٢٤٥/١٧١) ما ذكره الذهبي وأقره ثم زاد عليه فقال: «وذكره الساجي، والعقيلي، وابن الجارود في الضعفاء». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن يزيد بن درهم لم يرو له أحد من الأئمة الستة في كتبهم.

ج) أخرج الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٧٨/٧) (٢١٧٠/١١٧) قال حدثنا ابن حماد، حدثنا عباس، عن يحيى -وهو ابن معين- قال: «يزيد بن درهم بصري ليس بشيء». اهـ.

قلت: ومصطلح «ليس بشيء» وهذا اللفظ من مراتب التجريح الشديد مراتب الرد، وهو مصطلح يطلقه كبار أئمة الجرح والتعديل وعلى وجه المثال لا الحصر، الإمام يحيى بن معين (١٥٨- ٢٣٣هـ)، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١ هـ)، الإمام الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ)، وباستقراء هذه التواريخ يتبين المعاصرة.

أ) المصطلح عند الشافعي: قال السخاوي في «فتح المغيث» (٢٩٢/٢) ط: دار المنهاج بالرياض: «قد روينا عن المزني قال: سمعني الشافعي يومًا وأنا أقول: فلان كذاب، فقال لي: يا أبا إبراهيم! اكسُ ألفاظك أحسنها، لا تقل فلان كذاب، ولكن قل: حديثه ليس بشيء». اهـ.

ب) المصطلح عند الإمام أحمد والإمام ابن معين قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٩٨٣/٤١٦/٣): كوثر بن حكيم الكوفي: قال ابن معين: «ليس بشيء»، وقال أحمد بن حنبل أحاديثه بواطيل ليس بشيء، وقال الدارقطني وغيره: متروك. اهـ.

وبهذا يتبين أن هذه القصة من الغرائب المنكرة الواهية.

تنبيه:

إن لم تصح هذه القصة الواهية في سبب نزول الآية: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»: فالآية بعموم لفظها وعدٌ من الله لرسوله في حياته وبعد مماته. قال السعدي في «تفسيره»: «هذا وعد من الله لرسوله أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم، وقد فعل تعالى، فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة». اهـ.

وهؤلاء المبغضون والمستهزئون في أسفل سافلين على مر العصور أمام خطاب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» (الشرح: ٤)، قال الإمام ابن كثير في «تفسيره»: «قد أبقى الله ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد». اهـ.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

علي حشيش

(٩٣٣) «إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة».

الحديث لا يصح: أورده السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» ص(١/٢٥) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «عد عن عائشة».

قلت: «عد» ترمز إلى «الكامل لابن عدي» وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وكذلك من قبله أورده الغزالي في «الإحياء» (١٨١/١) قال: روى واثلة ابن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكر الحديث بصيغة الجزم بغير تخريج ولا تحقيق، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «ط، عد، وقال: منكر من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث واثلة». اهـ.

وهذا يتطلب بيان الرموز، واستخراج الأسانيد، ومعرفة العلة، ثم الحكم على الحديث، قلت: (ط) في قول الحافظ العراقي ترمز إلى «المعجم الكبير للطبراني»، وهذا يتبين من قول الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦/٢): «رواه الطبراني في الكبير من حديث أبى الدرداء وفيه أيوب بن مدرك قال ابن معين: كذاب». اهـ.

ولذلك رواه الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (١٨٩/٥- ١٩٠) عن شيخه الطبراني من حديث أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي الدرداء مرفوعًا، وقال: «غريب من حديث مكحول تفرد به عنه أيوب». اهـ.

أما (عد) في قول الحافظ العراقي فترمز أيضًا إلى «الكامل لابن عدي»؛ حيث أخرج هذا الحديث الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨٠/٣٤٧/١) عن أيوب بن مدرك عن مكحول، عن أبي الدرداء مرفوعًا، ولم يروه من حديث عائشة ولا حديث واثلة، وقال الحافظ ابن عدي: «هذا حديث منكر». اهـ.

قلت: والحديث موضوع علته أيوب بن مدرك كذاب يتبين ذلك من «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» (٣١٧)، قال: «سألت يحيى بن معين عن أيوب بن مدرك؟ فقال: كذاب، كان هاهنا أمامي قد رأيته وكتبت عنه، ليس بشيء». اهـ.

(٩٣٤): «اصطفوا وليتقدمكم في الصلاة أفضلكم فإن الله يصطفي من الملائكة ومن الناس».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٦/٢٢) ح(١٣٣) من حديث أيوب بن مدرك، عن مكحول عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وعلته أيوب بن مدرك وهو كذاب كما بينا آنفًا، وقال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٦٨/١): «روى عن مكحول نسخة موضوعة ولم يره». اهـ.

(٩٣٥): «ينبغي للرجل إذا خرج إلى أصحابه أن يهيئ من لحيته ورأسه؛ فإن الله جميل يحب الجمال».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨٠/٣٤٨/١) من حديث أيوب بن مدرك عن مكحول عن عائشة مرفوعًا، وعلته أيوب بن مدرك كذاب، روى عن مكحول نسخة موضوعة ولم يره كما بينا آنفًا، وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٧): «متروك». اهـ. هذا وقد وردت أحاديث صحيحة بهذا المعنى.

قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز

أدلة العقل والنقل في حمل صفات: (المحبة والكراهية، والرضا والغضب، والرحمة والبغض والسخط)، على ظاهرها

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى إثر ذكر ما تيسر من قرائن العقل على إثبات صفات: (المحبة والسخط والغضب.. وما شابهها)، نواصل ذكر ما تيسر منها ومن قرائن النقل في إثبات تلك الصفات، ليستقيم لنا درء تعارض النقل مع العقل في إثبات ما تبقى من صفات الفعل على نحو ما تم لنا ذلك في صفات الخبر.

لكن يجب أن يكون الانطلاق في هذا من قاعدة: "أن الاشتراك في الاسم المطلق، لا يستلزم التماثل عند الإضافة والتخصيص"، وهذا يعني بالضرورة: أن الاشتراك في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص في مثل قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) (الشورى: ١١)، فقد وصف الله نفسه بالرضا فقال: (رضي الله عنهم)، وأضاف صفة الرضا إلى المخلوقين فقال بعدها: (وَرَضُوا عَنْهُ) (المائدة: ١١٩)، وقال: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ) (المائدة: ٥٤).. وقال عن نفسه: (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨)، وقال عن بعض مخلوقاته: (إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا) (الإنسان: ٢).. وقال عن نفسه: (وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب: ٤٣)، وقال عن رسوله عليه السلام: (بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨)، وهكذا.

فهذا التوارد الذي تراه في القرآن في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص، وإلا للزم أن يكون القرآن متناقضًا، من حيث إنه تعالى نفى التشبيه عن نفسه في نحو قوله: (ليس كمثله شيء) حيث بيّن أنه لا يوصف بصفة ثبت اشتراك

بينه وبين المخلوق، ثم أثبته بقوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى: ١١)، وهذه شبهة عظيمة تعلَق بها من تعلَق، وردُّها يكمن في: معرفة أن مجرد الاشتراك في اسم مطلق الصفة، لا يستلزم التماثل، لأن الاشتراك في مطلق الاسم ليس له وجود خارجي، إنما وجوده وجود ذهني، والوجود الخارجي من شرطه: الإضافة والتخصيص والتعيين.. فإذا قلتَ مثلاً: (محبة)؛ لم يُعلم منك أيُّ محبة تقصد؛ هل هي محبة الولد لأبيه؟ أو الأب لابنه؟ أو الزوج لزوجته؟ أو هي محبة المؤمن لربه؟ أو محبة الرب لعبده المؤمن؟، لأنها لفظة مجردة لا تخصيص فيها ولا إضافة ولا تعيين؛ فإذا أضفتَ فقلتَ: (محبة زيد لعمر)، أو قلت: (محبة المؤمنين لربهم)؛ أو قلت: (محبة الله لعبده)؛ فإنك عند الإضافة والتخصيص تكون قد أردتَ في المقامات الثلاثة معنى للمحبة مختلفًا، وتكون الماهية والحقيقة متباينة، وهكذا هو الحال فيما توارد ذكره في سائر النصوص القرآن والسنة.

رد شبه الأشاعرة في نفيهم صفات (الحب والكراهة والرضا والبغض.. إلخ) بحجة أن المخلوق يتصف بها أو أن إثباتها يستلزم تشبيهًا:

ولنضرب لذلك مثلاً آخر بنعيم الجنة، فنقول: إن من طُرق الرد على المخالف أن يقال: إن (نعيم الجنة) الذي وصفه الله في كتابه أو فيما جاء في السنة النبوية، يشترك في كثير من الأسماء مع (نعيم الدنيا).. ففي الجنة (خمر) وفي الدنيا (خمر)، لكن (خمر الجنة) ليس كـ(خمر الدنيا)؛ لأن الله ذم خمر الدنيا بل سماه رجسًا، ذلك قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) (المائدة:٩٠)، وهذا مجمع عليه بين المسلمين، إذ بالضرورة أن خمر الآخرة ليس مثل خمر الدنيا مع أن الاسم واحد، وكذلك: (الماء) و(العسل) و(اللبن) وغيرها من الأسماء التي ذُكرت في الدنيا وذُكرت في نعيم الآخرة، فقد حصل اشتراك في مطلق الاسم بين (الخمر والخمر)، وبين (الماء والماء)، وبين (العسل والعسل)، وبين (اللبن واللبن) ولم تتماثل حقيقتهما إذ لكل حقيقته وخصائصه، وإذا كان الاشتراك في مطلق الاسم لم يستلزم التماثل في الماهية والحقيقة بين المخلوقات، فما بالك إذا أضيفت صفة إلى الله وجاء اسمها في حق العبد؟، لا شك ألا تكون الصفة كالصفة من باب أولى.

وابتناء على ما سبق فإن من ينفي بعض صفات الله كـ (الغضب والرضا ونحوه) من الأشاعرة بحجة أن المخلوق يتصف بها، أو أن إثباتها يستلزم تشبيهًا، يقال له: ما قولكم في علم الله؟ ألم تثبتوا لله علمًا يليق به مع أن للمخلوق علمًا، وأثبتم لله قدرة مع أن للمخلوق قدرة، بل ثبوت صفة القدرة للمخلوق أعرف وأشهر من ثبوت صفة الغضب؟، فإن قالوا: إن قدرة الباري ليست كقدرة المخلوق، فيقال: فكذلك الغضب والرضا.. وهكذا.

«وإن كان النافي من المعتزلة والجهمية الذين ينفون كل الصفات، فإنه يقال له كذلك: أنتم أثبتم لله وجودًا مع أن المخلوق موجود، فحصل اشتراك في اسم (الوجود)، فإما أن تكون ماهية الوجود واحدة، وهذا يُعلم امتناعه، فإن الله واجب الوجود والمخلوق ممكن الوجود، وإما أن تكون متباينة، فيكون من المعلوم بالضرورة العقلية والفطرية أن ثمة اختلافًا بين وجود الخالق ووجود المخلوق مع الاشتراك في اسم الوجود.. وعليه فالقول في (العلم) - وكذا غيره - كالقول في الوجود، فإن قلتم: إثبات العلم يستلزم أن يكون كعلم المخلوق، قيل: لمَ لم يلزم ذلك في اسم أو في صفة (الوجود)؟.

إذًا فالأشاعرة يُردُّ عليهم بما يثبتونه من الصفات، ومن ينفي كل الصفات يُرَدُّ عليه بصفة (الوجود) التي لا يستطيع أحد أن ينفك عنها. ولعل هذا هو السبب في عناية

شيخ الإسلام بتقرير قاعدة (الوجود) وبيان الفرق بين أنواعه، وأن الاشتراك باسم الوجود المطلق لا يستلزم التماثل في ماهية وجود الخالق ووجود المخلوق؛ لأنه يتحقق به إبطالٌ لمذهب أصناف المخالفين».

وثمة قاعدة أخرى وضعها أئمة السلف لحل معضلة تعطيل صفاته تعالى الخبرية والفعلية بحجة تنزيهه عن التشبيه، وتكمن في: (صحة قياس الأولى في حق الله)؛ وهي: أن "كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه؛ فالخالق أولى به".. وهذا هو معنى قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) (النحل: ٦٠)، وقد خصّه- من سمّاه من أهل السنة- بالذكر، لمّا أساغ المشبهة وغيرهم في حقه تعالى: "قياس التمثيل الذي يستوي فيه الأصل والفرع"، و"قياس الشمول الذي يستوي فيه جميع أفراده"، فكان رد أئمة السنة أن الذي يجوز في حقه منها، هو: (قياس الأولى) من دونهما.

فإن (الكلام) مثلاً صفة كمال في المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه من حيث هو صفة وإن كان بعض المخلوقين قد يستعمل هذه الصفة في الكفر، والدليل على أنه كمال: أن الله أبطل ألوهية العجل لعدم اتصافه به فقال: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ) (الأعراف: ١٤٨)، فدل على أن عدم اتصافه بالكلام دليل على نقصه وعدم صلاحيته لأن يكون إلهًا، وأن الإله الحق يتصف بالكلام، وكذلك في قول إبراهيم عليه السلام: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) (مريم:٤٢)، حيث استدل إبراهيم عليه السلام على بطلان ألوهية الأصنام بكونها لا تسمع ولا تبصر.. فبما أن (الكلام والسمع والبصر والإرادة والقدرة) كمالات في المخلوق فالخالق أولى بها، وإن كانت في حقه ليست كالصفات التي يتصف بها المخلوق.. وإنما قلنا: "لا نقص فيه بوجه من الوجوه"؛ لأن بعض الصفات هي كمال في المخلوق لكنه كمال إضافي وليس كمالاً مطلقًا.

فالأكل والشرب كمال إضافي وليس كمالاً مطلقًا، بمعنى أنه عند التحقيق يعتبر نقصًا.. لماذا؟ لأن طبيعة تركيب الإنسان الجسمانية ينبني بقاؤها على مسألة الأكل فلو لم يأكل ويشرب لانتهى، وهذا نقص في بني آدم، ولهذا كانت الملائكة كما يقول شيخ الإسلام: (صُمْد).. فالمقصود: أن الأكل والشرب وإن قيل: إنها كمال في الإنسان إلا أنه كمال إضافي، أي: أن حقيقتها نقص من حيث التكوين الخلقي الأساسي، وفرق بين (الكمال الذي هو كمال في حال تجريده وإطلاقه)، وبين (الكمال الإضافي).

قواعد أخرى للسلف يجب اتباعها في إثبات صفاته تعالى الخبرية والفعلية:

وعلى غرار ما سبق من تقرير قاعدتي: "الاشتراك في الاسم المطلق، لا يستلزم التماثل في الحقيقة عند الإضافة والتخصيص"، و"أن كل كمال للمخلوق لا نقص فيه فالخالق أولى به"، فقد قرر أئمة السلف في (باب الصفات) قاعدة ثالثة تقضي: بـ "أن القول في الصفات كالقول في الذات"، وكما أنه سبحانه له ذات لا تشابه الذوات، وأنه منزه في ذاته عن خلقه، وذاته ثابتة له بإجماع المسلمين بل بإجماع عامة بني آدم الذين يقرون بوجود الرب سبحانه.. فكذا صفاته.

ورابعة تقضي: بـ "أن ما يقال في بعض الصفات يقال في بعضها"، وهذه القاعدة إنما يُرَدُّ بها على نفاة متكلمة الصفاتية من الأشعرية ونحوهم الذين أثبتوا بعض الصفات ولم يروا فيها تشبيهًا، ونفوا بعض الصفات ورأوا في إثباتها تشبيهًا أو تجسيمًا أو حدوثًا أو نحو ذلك، فهذه القاعدة تدل على أن القول في الصفات واحد، فمن قال:

(إن غضب الله يؤوّل بالإرادة؛ لأن الغضب من صفات المخلوقين)؛ قيل: (والمخلوق يتصف بالإرادة)، فإذا قال: (إرادة تثبُتُ لله ليست كـإرادة المخلوقين)، قيل: (وغضبه ليس كغضبهم).. وهكذا.

وكما أنه لا (الغضب ولا المحبة) ولا سواهما هي نفس (الإرادة) "بل هي شيء زائد عليها،، فإن المرء يجد من نفسه أنه يحب ما لا يقدر على اكتسابه ولا تحصيله، والإرادة هي التي تخصص الفعل ببعض وجوهه الجائزة، ويُحس من نفسه أنه يحب الموصوفين بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة كالعلماء والفضلاء والكرماء وإن لم يتعلق له بهم إرادة مخصصة، وإذا صح الفرق فالله محبوب لمحبيه على حقيقة المحبة كما هو معروف عند من رزقه الله شيئًا من ذلك" كذا ذكره القرطبي في المفهم ونقله عنه ابن حجر في الفتح ١٣: ٣٦٨.

وعلى نحو من ذلك، فقد قرر أئمة العلم: أن "لا تلازم بين العلم بالمعنى والعلم بالكيفية"؛ لأن العلم بالكيفية ممتنع؛ ذلك أنه سبحانه لا يُحاط به علمًا، وأن الأمر في ذلك هو كما قال مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وأوضحوا كذلك أن لفظ (الظاهر) صار فيه إجمال واشتراك، فإذا قيل: هل ظاهر النصوص مراد أو ليس مرادًا؟؛ قيل: إن قصد بـ (الظاهر) المعنى اللائق بالله سبحانه، فإن ظاهر النصوص مراد.. وإن قصد بـ (الظاهر) التشبيه؛ فإن هذا المعنى يُعلم أن الرب سبحانه منزه عنه، ولكن لا يجوز أن يجعل هذا المعنى الباطل هو ظاهر النصوص؛ لأنه يلزم منه أن يكون ظاهر القرآن كفرًا، وهذا مما ينزه كتاب الله عنه.

وقرروا أيضًا: أن "ما عُلم ثبوته في الكتاب والسنة يَثْبُت، وما عُلم نفيه يُنفى، وما لم يرد بلفظه إثبات ولا نفي من الألفاظ المجملة الحادثة؛ فإنه يُتوقف فيه". وهذا لا يعني أنك لا تنفي نقصًا عن الله إلا إن كان النص القرآني صرَّح به، فإن هذا - كما قال شيخ الإسلام - لم يلتزمه أحد من أهل السنة، بل ولا أحد من الطوائف.. ذلك أن كل ما يقابل صفات الكمال المنصوص عليها في القرآن ويضادها؛ فإنه يُعلم أن الرب منزه عنه، فلما وصف نفسه بـ(العلم) دل على أنه منزه عن (الجهل)، لكن التصريح بنفي الجهل لم يرد في القرآن أو السنة، مع أنه منفي عنه تعالى.. وهكذا.

وإن كـان النص تـارة يصرح ببعض هذه الأضـداد، كقوله عليه السلام: (إن ربكم ليس بأعور)، فإنه يثبت على جهة النفي أن الله منزه عن ذلك وأنه موصوف بالبصر، مع أن من وُصف بالبصر على جهة الكمال يُعلم أنه منزه عما يضاده.

أما اللفظ الذي لم يرد ولكنه من الألفاظ الحادثة المجملة التي تحتمل حقًا وباطلاً؛ فإن طريقة السلف فيها أنهم يتوقفون في اللفظ، ويستفصلون في المعنى، فإن كان صوابًا قبل، وإن كان باطلاً رُدّ، وذلك كلفظ (الجهة) ونحوها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفيت إلى رحمة الله تعالى أخت فضيلة الشيخ أحمد عز الدين، رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها الفردوس الأعلى. وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لفضيلة الشيخ، سائلين الله تبارك وتعالى أن يرحمها رحمة واسعة، وأن يُسكنها الفردوس الأعلى، ويلهم أهلها الصبر والسلوان. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا؛ إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأتقياء الأنقياء

إعداد: الشيخ الدكتور: فيصل بن جميل غزاوي
إمام وخطيب المسجد الحرام

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ، فيا أيها المسلمون: إن للمسلم الصادق سماتٍ رائدة وخصائصَ فريدة، تُميِّزه عن غيره، وتتوافق مع فطرته السويَّة، حريٌّ بكل مسلم أن يكون لها ذاكرًا وبها متمسِّكًا؛ لينعم بتحصيل ثمارها وجَني قطافها، ويحيا حياةً طيبةً، ويُحقِّقَ السعادة في الدارين.

وقد تمثَّلت تلك السماتُ في أبهى صُوَرِها وأكملِ معانيها في مجتمع الجيل الأول، مِنْ سلفِ هذه الأمة، الذين تمسَّكوا بدين الله، واستقاموا كما أُمِرُوا وثبتوا على الحق فأفلحوا وأنجحوا وسادوا وشادوا.

عباد الله: من سمات المسلم التي يتصف بها: اعتزازُه بالله، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ (فاطر: ١٠)؛ فيوقن أن عزة الله-تعالى- هي مصدر عزته وقوته ونصرته؛ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون: ٨)، ويستشعرُ إكرامَ الله له في هدايته للدِّين الحنيف؛ فهو مصدر شرفه ومنعَته، قال الفاروق عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: "إنَّكُمْ كُنْتُمْ أذَلَّ النَّاسِ، وَأقَلَّ النَّاسِ، وَأحْقَرَ النَّاسِ، فَأعَزَّكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلَّكُمُ اللَّهُ".

أيها الإخوة: إن المسلم إذا فقد اعتزازه بدين الله ضَعُفت إرادتُه وخارت قواه، وشعَر بالنقص والضعف والانهزام النفسي، وقد ينساقُ مُقلِّدًا متشبِّهًا دون تمييزٍ ولا بصيرة.

ومن سمات المسلم: تعظيمُه شعائرَ الله، وعدمُ انتهاك الحرمات، وعدمُ الاستهانة بما شرع الله؛ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢)، فتعظيمُ شعائر الله صادرٌ من تقوى القلوب، فالمعظِّم لها يُبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابعٌ لتعظيم الله واجلاله.

أيها المسلمون: إن تعظيم الله حقٌّ على كل أحد، فمَن لم يُعظِّم اللهَ لم يُقِمْ حدودَه، ولم يَمتثِل شرعه، ومَنْ لم يُعظِّم اللهَ لم يَقْدُره حقَّ قدره، ولم يخش الوقوف بين يديه فلم يُبادر إلى طاعته، بل يستخف بأمره وينتهك حرماته، وتعظيمُ العبد لله يمنعه من أن يحتقر شيئًا من المحرمات، أو يستصغر شيئًا من السيئات، كما قيل: "لا تنظُرْ إلى صِغَرِ المعصية، ولكن انظُرْ إلى عظمة مَنْ عصيتَ"، ينظر العبدُ إلى عِظَم مَنْ عصى، إنه الله الجليل ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة. وكلما ضَعُفَ الإيمانُ وقلَّت خشيةُ الله في قلب العبد وغابت رقابته، ضعفت عظمةُ الله في نفسه واستهان بالمعاصي،

فعن أنس-رضي الله عنه- قال: "إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمالاً، هي أدَقُّ في أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَر، إنْ كُنَّا لَنَعُدُّها على عَهْدِ النَّبيِّ-صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم- مِنَ المُوبِقاتِ". ولْنَعْلَمْ-عبادَ الله- أنَّ كل فساد في الدنيا، وكل انحراف عن منهج الله هو ناشئ عن عدم تعظيم العبد لربه؛ لذلك قال جل وعلا: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (الأنعام: ٩١)، وقال عز ثناؤه: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نُوح: ١٣)، ما الذي يمنعكم أن تعظموه جلَّ في علاه حق تعظيمه وأن تُجِلُّوه حقَّ إجلاله.

ومن سمات المسلم: سعيُه في طلب رضوان الله، كما قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البَقرة: ٢٠٧)، فهؤلاء هم الموفَّقون، الذين باعوا أنفسهم، وأرخصوها وبذلوها؛ طلبًا لمرضاة الله، وإعلاءً لكلمته، ورجاءً لثوابه.

ومما يَتبع ذلك تجرُّدُ هؤلاء الصفوة للحقِّ؛ فالمؤمن لا يتبع الهوى، ولا يُعجب برأيه، ولا يُؤثر رغباته وشهواته على ما جاءه من البينات، ولا يُعارِض الحججَ والبراهينَ بأقوال ومذاهب تخالف شرعَ الله، كما أنه موصوف بكونه أوابًا منيبًا، لا يُصرّ على الخطأ، ولا البقاء على الذنب كما وصف اللهُ المتقين بقوله: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمرانَ: ١٣٥).

عبادَ الله: ومن أعظم سمات المسلم: توحيده لله، وإقراره بربوبيته؛ فلا يشوب عقيدتَه شيءٌ من الشرك والأباطيل والبدَع والخرافات، بل قلبُه معلّق بربه، متوكّل عليه، يعلم أن الله وحدَه مالكُ النفع والضر، والعطاء والمنع؛ فلا يأتي شيئًا يُخالف منهجَ التوحيد، ولا يرتكب أمرًا ينافي الاعتقادَ الصحيحَ، وهو حذرٌ فطنٌ لا يرضى ما يُفسد عقيدتَه ويلوِّث فطرتَه، ولذلك فهو لا ينخدع بما يُروَّجُ له، من قوانين قائمة على اعتقادات وتصوُّرات باطلة؛ كالدعاية للعلاج المبنيّ على اعتقاد أن الطاقة مقابِل الإله، فكما نعتقد-نحن المسلمين- أن الله-سبحانه- مدبِّر الكون، والخالق المهيمن، القادر الذي يفعل ما يشاء، وبيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، فأولئك يعتقدون أن الطاقة لها قدرة، تستطيع أن تعمل ما تريد، في الوقت الذي تريد، كيفما تريد؛ عياذًا بالله من ذلك. وقد صُبغت هذه النظريةُ بصبغة علمية، وخُصِّصت لها دوراتٌ تدريبيةٌ تطويريةٌ، أصبح لها سوق واتُّخذت تجارةً، يُحقّق أصحابُها من ورائها أرباحًا ماديةً، ومن العجائب أن يُجادل بعضُهم بغير علم، زاعمًا أنها من الرُّقية الشرعية، وليست منها في شيء؛ فتلك النظريات والطقوس تقدح في التوحيد، وتنتظم عقائدَ شيطانيةً وثنيةً، وتقوم على قضايا غيبية باطنية، ومع هذا يرى المتلقّفون لها دون وعيٍ ولا هدًى، أن قوالبها التطبيقية تُلبّي حاجتَهم اليومية، وتتواءم مع تطلعاتهم في الوصول إلى صحة أبدانهم وسعادة نفوسهم بزعمهم، دون أن يتأكّدوا من جدواها، ويُدركوا حقيقتَها ومغزاها، ويتثبّتوا من حكمها الشرعي، الكاشف لأصولها، وصحة دعواها، ناهيك عن تلك الاعتقادات المنحرفة، التي سَرَتْ بين كثير من الجهلة؛ من اتخاذ التمائم والخيوط، بأشكال مختلفة، وانتشار تعليقها بقصد دفع العين والحسد والحماية من الأمراض، ورفع البلاء، ودفع القلق والتوتر والكآبة. وكلُّ ذلك-عبادَ الله- ناشئٌ عن ضَعْف الإيمان، والجهل بالتوحيد، والتعلق بالأوهام والخرافات والدَّجل والشعوذة، وتَرْك القرآن، الذي فيه الشفاءُ الحقيقيُّ، والغفلة عن ذكر الله، وعن الآيات والأدعية الشرعية. وإلّا فأين هؤلاء ممَّا حذَّر عنه النبي-صلى الله عليه وسلم- بقوله: "إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ"، وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ علَّق تَميمةً فقدْ أشْرَكَ".

أقول هذا-أيها الإخوة في الله- من باب ما يلزم المسلمَ لأخيه، من النصيحة والشفقة عليه، وحرصًا على حماية جناب التوحيد، وسدًّا لكل طريق مُوصِلٍ إلى الشرك، وتحذيرًا من الوقوع في الانحراف العقدي، بشتى أنواعه وصوره، فحينَ جاء ذلك الرجلُ إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- وقال: "ما شاء الله وشئْتَ"، أنكر عليه-صلى الله عليه وسلم- أنْ جعلَه شريكًا مساويًا له فقال: "أجعلتني لله ندًّا؟ ما شاء اللهُ وَحْدَه"، ففيه التحذير منْ جَعْل المخلوق مساويًا للخالق باللفظ، في المشيئة أو التعظيم وإن لم يعتقد قائلُها ذلك بقلبه، فكيف بمَنْ يعتقد في المخلوق شيئًا ممّا هو من خصائص ربوبية الله؟!

كما جاء التحذير من الاغترار بالمشعوذين والدجّالين والأفّاكين، في قوله-صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ أتَى كاهنًا، أوْ عَرّافًا، فصَدّقهُ بِمَا يَقُولُ، فقدْ كفرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلى مُحَمّدٍ"، ولا عذر لمن يتعاطى مثل تلك الأسباب غير المأذون فيها شرعًا، بقصد العلاج، ويقول: "نحن لا نعتقد هذه العقائدَ الفاسدة، فنيّتُنا حسنة، نريد الخير، ومقصدُنا الاستشفاءُ والدواء"، فكلامُه مـردودٌ عليه؛ إذ قـرّر النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- ما يَرُدُّ هذه الدعوى ويدحضُ مثلَ هذه الحجة بقوله: "إنّ اللهَ لم يجعلْ شفاءَكم فيما حَرّم عليكم"، فكيف إذا كان هذا العلاج مشوبًا بما يُضادُّ التوحيدَ وينافيه؟، ومبنيًا على تصورات تخالف الدينَ القويمَ ومبانيه؟! لا شكَّ أن الأمر أعظم والبلية أشد، كما أن تعليق ما يكون على شكل التمائم وصُورها مما يُتّخذ للزينة والجمال وإن لم يُقصد بلبسه الاعتقادُ الفاسدُ محـرّمٌ؛ لأن فيه مشابهةً لمن يلبسها اعتقادًا.

عباد الله: ومن سمات المسلم: استزادته من العلم النافع كما قال تعالى: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (طه: ١١٤)، وبذلك تُفتح له أبوابُ العلوم والمعارف، ويَدفع الجهلَ عن نفسه، ويعمل على بصيرة؛ فلا بدَّ للعبد من قوة علمية تُبصّره وتهديه، حتى يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وهو لا ينفكُّ عن سؤال ربه أن ينفعه بما علّمه، ويعلمه ما ينفعه؛ فكلما ازداد العبد علمًا بالله كان أكثرَ صلةً به وأقوى إيمانًا، وأصلبَ عقيدةً، وأبعدَ عن الشكوك والوساوس والأوهام.

ومـن سمات المسلم: ثباتُه على الديـن؛ فلا ينقلب على عقبيه، ولا يُغيّر ولا يُبدّل شيئًا ممّا عاهدَ اللهَ عليه، بل يُـوفي بعهده أكملَ وفاء، قال تعالى: (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ٢٣)، وقال عز من قائل: (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: ١٠)، ولا يرجع إلى ما حرّم اللهُ بعدَ إذ أنقذَه اللهُ من الغواية والعمى؛ فشرُّ العمى الضلالةُ بعد الهدى، والحوْر بعد الكوْر، بل يظل دائمَ السؤال لربه ألّا يفتنه، وأن يمسّكه بالدين حتى يلقاه؛ طلبًا للثبات على الدين، وخوفًا من الزيغ والافتتان، ولا غرابةَ في ذلك؛ فقد كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يُكثر أن يقول: "يا مُقلّبَ القلوب ثبّتْ قلبي على دينك".

أيها الإخوة: من الواجب أن يجتهد كلٌّ منا في تحقيق سمات المسلم الحق، كما أن من الواجب المنوط بالآباء والمربّين والمعلمين، أن يصرفوا هممَهم وعزائمهم إلى ترسيخ تلك السمات، فيمن يربُّونهم؛ بغرس وتعزيز الوازع الإيماني في نفوسهم، فكلما كان بناء المرء سليمًا كان بناء المجتمع والأمة قويًا ثابتًا، وفي ذلك وقاية للأفراد والمجتمع، من أيّ خللٍ عقديٍّ وغلوٍّ دينيٍّ وانحلالٍ خلقيٍّ وانحرافٍ سلوكيٍّ.

أيها المسلمون: بعد انقضاء مواسم الخيرات ينظر المرء في حاله، فمن علامة القبول فيها ثباتُ المؤمن على دوام المسارَعة إلى مرضاة الله، بجليل الطاعات، وعظيم القربات، واغتنام الفرص والأوقات، والتعرض للنفحات، ونحن في ميدان سباق ومضمار عمل في هذه الدنيا، فلا يتوقف المرء عن العمل، ولا ينقطع عن العبادة حتى الممات (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحِجْر: ٩٩) فلا تنحصر العبادة في وقت ولا مكان ولا حال.

وهـا هـي الأعـوام والشهور تمضي، والأيـام والساعات تنقضي، وكَمْ في ذلـك مِنْ تذكرة وعبرة! وليس الاعتبارُ بأن يُعمّر المرءُ ويطول بقاؤه في الدنيا، بل بإحسان العمل؛ فخيرُ الناس مَنْ طال عمرُه وحَسُنَ عمله، وشرُّ الناس مَنْ طال عمرُه وساء عملُه، كما أخبر بذلك الصادقُ المصدوقُ-صلى الله عليه وسلم.

هـذا وصلوا وسلموا-عبادَ الله- على خير الأنام؛ امتثالاً لأمر ربكم الملك العلّام: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦)، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنـك حميد مجيد، وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم وارض عن الخلفاء الراشدين، الأئـمـة المهديين؛ أبـي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومَنْ تبعهم بإحسان، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا رب العالمين.

وسائل الشيطان لإهلاك الإنسان

إعداد: صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

أما بعد: فإن الشيطان يحاول بشتى الوسائل أن يهلك الإنسان ويصرفه عن طريق الرحمن ليكون معه في نار جهنم، أعاذنا الله تعالى منها.

إن وسائل الشيطان لإهلاك الإنسان كثيرة ومتنوعة، ويُمكن أن نوجزها في الأمور التالية:

أولاً: دعوة الإنسان إلى الشرك بالله تعالى:

الشيطان يدعو الإنسان في كل مكان وزمان إلى الكفر والشرك بالله تعالى، فإذا نجح في ذلك واستجاب له ابن آدم، استراح منه الشيطان وجعله جندًا من جنوده ثم يتبرأ منه يوم القيامة.

قال تعالى: (وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (إبراهيم: ٢٢).

ثانيًا: إيقاع المسلم في الابتداع في الدين:

إذا فشل الشيطان في إيقاع الإنسان في الشرك فإنه يدعوه إلى الابتداع في أمور الدين. ولذا يجب على المسلم أن يعرف الفرق بين السُّنَّة والبدعة.

السنة: كل ما ثبت عَن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

والبدعة: كل ما خالف طريقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، في أمور الدين.

التحذير من الابتداع في الدين: قال تعالى: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المائدة: ٣).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ. (البخاري حديث ٢٦٩٧، ومسلم حديث ١٧١٨).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ

مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.(مسلم حديث ٨٦٧).

ثالثا: تزيين فعل الكبائر:

إذا عجز الشيطان عن إيقاع المسلم في طريق البدع ووجده يسلك سبيل أهل السنة والجماعة، فإنه ينتقل إلى دعوة الإنسان إلى ارتكاب الكبائر باختلاف أنواعها، ويحرص الشيطان على أن يوقع الإنسان المسلم فيها، خاصة إذا كان عالما متبوعًا، حتى ينشر ذنوبه ومعاصيه بين الناس، وذلك لينفر الناس عنه وعن الانتفاع بعلمه.(التفسير القيم لابن القيم ص٦١٣).

رابعًا: إغراقه الإنسان في فعل الصغائر:

إذا يئس الشيطان من إيقاع الإنسان في ارتكاب الكبائر، فإنه يدعوه إلى ارتكاب الصغائر التي إذا اجتمعت على الإنسان ربما أهلكته. (التفسير القيم ص٦١٣).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٣٤٢١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٦٥٤).

قال ابن القيم: ولا يزال الشيطان يسهل على الإنسان محقرات الذنوب حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه. (التفسير القيم. ص٦١٣).

روى أحمدُ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ. (مسند أحمد جـ ٣٧صـ ٤٦٧).

خامسا: إلهاء الإنسان في الأمور المباحة:

إذا عجز الشيطان أن يوقع الإنسان في صغائر الذنوب، دعاه إلى الاشتغال بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله به. (التفسير القيم لابن القيم ص٦١٣).

سادسا: الاشتغال بالمفضول عما هو أفضل منه:

إذا عجز الشيطان أن يشغل الإنسان بالأمور المباحة، وكان الإنسان حافظًا لوقته، شحيحًا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب، حاول أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، ليزيح عنه الفضيلة، ويفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمر بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل من ينتبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًا ومحركًا إلى نوع من الطاعة، لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول: إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير، فيقول: هذا الداعي من الله، وهو معذور، ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر وإما ليفوِّت بها خيرًا عظيمًا من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل. وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله وأحبها إليه وأرضاها له وأنفعها للعبد وأعمها نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين.(التفسير القيم ص٦١٣، ٦١٤).

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمسك عليك لسانك

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد: فنعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم هذه النعم نعمة النطق التي يُبين بها الإنسان عن مراده، ومَن فقدها لا يمكنه التفاهم مع غيره إلا بالإشارة أو الكتابة إن كان كاتبًا، قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ٧٦)، وقد أقسم الله عز وجل بنفسه على تحقيق البعث والجزاء على الأعمال، كما أن النطق حاصل واقع من المخاطبين، وفي ذلك تنويه بنعمة النطق.

إعداد الشيخ: عبده أحمد الأقرع

قال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن: ٣-٤)، وفسّر الحسن البيان: بالنطق، وفي ذلك تنويه بنعمة النطق التي يحصل بها إبانة الإنسان عما يريده. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (البلد: ٨-٩).

ومن المعلوم أن هذه النعمة إنما تكون نعمة حقًا إذا استعمل النطق بما هو خير، وأما إذا استعمل بشر فهو وبال على صاحبه، ولذا كثرت وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ اللسان، والتحكم فيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». (متفق عليه: البخاري (٦٠١٨) في الأدب، ومسلم (٤٧) في الإيمان).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك». (الترمذي ٢٤٠٦).

ولما سأل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل يُدخله الجنة ويُباعده عن النار، دله صلى الله عليه وسلم أولاً على الواجبات من الصالحات، ثم دَلَّه على المستحبات، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» وملاك الشيء ما به إحكامه وتقويته. قال معاذ: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه، قال: «كُفَّ عليك هذا». فقلت يا نبي الله: وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». (الترمذي٢٦١٦ في الإيمان).

والمعنى: «وهل يكب الناس»: أي: يُلقيهم ويسقطهم ويصرعهم، في النار على وجوههم أو على مناخرهم. شك من الراوي، وخصها بالذكر لأنهما أول الأعضاء سقوطًا.

«إلا حصائد ألسنتهم»: أي محصوداتها. (تحفة الأحوذي (٧/٣٦٥)). والمراد بحصائد

ألسنتهم جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرًّا من قول أو عمل حصد الندامة. (جامع العلوم والحكم (٢٤١)).

فاحفظوا ألسنتكم فإن حصائد اللسان هلاك الإنسان، في دنياه وأخراه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب». (متفق عليه: البخاري (٦٤٧٧) في الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) في الزهد).

معنى (يتبين): يتفكر أنها خير أم لا.

وعن أبي عبد الرحمن بلال الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه». (صحيح الجامع رقم (١٦١٩)).

فكان علقمة يقول: "كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث!".

لذا كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقسم فيقول: والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. (صحيح الترغيب (٢٨٥٨)).

فالزم الصمت -أخي- فإنه يكسوك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلهما». (صحيح الجامع رقم (٤٠٤٨)).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عظني وأوجز، وفي رواية علمني وأوجز، فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا، وأجمع اليأس مما في يدي الناس». (الصحيحة رقم (٤٠١)).

«ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا»: فيه دعوة إلى محاسبة النفس فيما يقوله الإنسان، بأن يتأمل فيه، فإن وجده خيرًا تكلم به، وإن وجده شرًا امتنع من قوله، وإن كان الذي سيقوله مشتبهًا عليه ولا يدري أشر هو أم خير، يكفّ عنه اتقاءً للشبهات، حتى يستبين له أمره.

فيا أخي: «قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم، حيث لا ينفع الندم، واحرص أيها المسلم أن يعم خيرك، وأن تكف شرك، واجعل كبير المسلمين أبًا لك، وصغيرهم ابنًا لك، وأوسطهم أخًا لك، فأي أولئك يحب أن تسيء إليه؟» هكذا قال: عمر بن عبد العزيز، وكن كما قال يحيى بن معاذ: (ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه).

وحسبك إذا أردت أن تتكلم أن تتذكر قول الله عز وجل: «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٧-١٨).

وقوله عز وجل: «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» (الزخرف: ٨٠).

قال عطاء بن رباح: إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين؟ أما يستحي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته؟

فالزم الصمت أخي فإنه يكسبك صنوف المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار، اللهم نزه ألسنتنا عما يشين، وانطقها في مرضاتك يا كريم. آمين.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة مريم

قوله تعالى: (ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) مريم:٣٤.

القراءات: (قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب اللام، والباقون برفعها.

المعنى: (قول الحق) أي أقول قول الحق، فالله عز وجل أخبر عن نفسه بأني أقول قول الحق، وعلى قراءة الرفع يكون نعتًا لعيسى أو بإضمار هو، لأنه روح الله وكلمته، والكلمة قول، أو التقدير: هذا الكلام الذي جرى هو قول الحق (حجة القراءات لابن زنجلة ص٢١٢).

قوله تعالى: (وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا) مريم:٥١.

القراءات: (مخلصا) فتح اللام الكوفيون، وكسرها غيرهم.

المعنى: (مُخْلَصًا) بفتح اللام، أي أخلصه الله واختاره وجعله خالصًا من الدنس، ومعنى (مُخْلِصًا): أي أخلص هو التوحيد وجعل نفسه خالصة في طاعة الله (حجة القراءات لابن زنجلة ص٢١٣).

قوله تعالى: (أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ) مريم:٦٧.

القراءات: (يذكر) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بإسكان الذال وضم الكاف (يَذْكُر) من (الذكر) الذي يكون بعد النسيان والغفلة، وقرأ غيرهم بفتح الذال والكاف وتشديدهما (يَذَّكَّر) من (التذكر) الذي هو بمعنى التدبر والاعتبار (الكشف ٢/١٩٥).

قوله تعالى: (أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا) مريم:٧٤.

القراءات: قرأ قالون وابن ذكوان وأبو جعفر بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء قبلها فيها، فتكون ياء مشددة مفتوحة (وريًّا)، وقرأ الباقون (ورءيا) مهموزًا، ولحمزة في الوقف عليه وجهان: الأول كقالون ومن معه، والثاني الإبدال من غير إدغام (وريًا).

المعنى: هم أحسن أثاثا أي متاعًا، ورءيًا: أي منظرًا، من رأيت، ومعنى (ريًّا) قد يكون الهمز حذف تخفيفًا، أو من الرِّي. والمعنى أن منظرهم مرتو من النعمة، كأن النعيم بيِّن فيهم؛ لأن الريان من الماء له من الحسن والنضارة ما يُستحب ويُستحسن (معاني القراءات للأزهري ص٣٠٣ ولطائف الإشارات للقسطلاني ٦/٩٣).

من سورة الحج

قوله تعالى: (ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) (الحج: ٩).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس

(ليَضل) بفتح الياء أي ليضل هو. وقرأ غيرهم بضمها (ليُضل) أي ليُضل غيره

قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ) (الحج:٣٤)، وقوله تعالى: (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) (الحج: ٦٧).

القراءات: (منسكا) في الموضعين: قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر السين وغيرهم بفتحها.

المعنى: (منسكا) بكسر السين هو المكان الذي ينحر فيه، وقال الفراء: هو المكان المألوف الذي يقصده الناس وقتًا بعد وقت و(المناسك) سميت بذلك. و(منسكا) بالفتح بمعنى المصدر ومعناه (ذبحا) تقول نسكت الشاة أي ذبحتها. والمعنى: جعلنا لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله، وقيل هما لغتان، وهذا الوزن يصلح أن يكون مصدرًا ميميًا ويصلح للزمان والمكان (حجة القراءات لابن زنجلة: ص ٢٣١، طلائع البشر في توجيه القراءات العشر لمحمد الصادق قمحاوي ص ١٢٤).

قوله تعالى: (لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ) (الحج: ٤٠).

القراءات: (لهدمت) خفف الدال نافع وأبو جعفر وابن كثير، وشددها غيرهم، وأفاد التشديد تكرير الهدم فيها مرة بعد مرة وذلك من أفعال أهل الكفر (تفسير الطبري سورة الحج: ٤٠).

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا) (الحج: ٥٨).

القراءات: (قتلوا) قرأ ابن عامر بتشديد التاء، وخففها غيره، وأفاد التشديد أن الكفار أكثروا فيهم القتل مرة بعد مرة (الحجة لابن زنجلة: ص ٢٣٤)

من سورة المؤمنون

قوله تعالى: (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ) (المؤمنون: ٦٧).

القراءات: قرأ نافع (تهجرون) بضم التاء وكسر الجيم، وغيره بفتح التاء وضم الجيم.

المعنى: (تُهجرون) من الهُجر وهو الهذيان وما لا خير فيه من الكلام، (تَهْجُرون): أي تهجرون آيات الله فلا تؤمنون بها (الكشف لمكي بن أبي طالب٢/ ٢٣٢).

قوله تعالى: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (المؤمنون: ٧٢).

القراءات: (خرجا) ، (فخراج) قرأ ابن عامر بإسكان الراء وحذف الألف فيهما، وحمزة والكسائي وخلف بفتح الراء وإثبات الألف فيهما، والباقون في الأول كابن عامر، وفي الثاني كحمزة ومن معه.

المعنى: الخراج: أجر يؤدى في وقت يتفق عليه كالجزية أو الضريبة ويتكرر، والخرج: عطية أو أجر يؤدى في مرة واحدة، وقيل هما مترادفان، ومعنى الآية: أم تسألهم على ما جئتهم به من النصيحة والحق أجرًا فنكصوا على أعقابهم مستكبرين لذلك، فأجر ربك على نفاذك لأمره وابتغاء مرضاته خير (الكشف ٢/١٨٤، تفسير الطبري وابن عاشور- سورة المؤمنون:٧٢)

قوله تعالى: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) (المؤمنون: ٨٥- ٨٧- ٨٩).

القراءات: قرأ أبو عمرو ويعقوب (سيقولون الله) على اللفظ وهو أبين، كما تقول: من مالك هذه الدار؟ فيقال: فلان، وقرأ الجمهور (سيقولون لله) وهو جواب على المعنى أي لمن ملك ذلك، وهما قراءتان متقاربتا المعنى (معاني القراءات للأزهري: ٣٤٢)

قوله تعالى: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) (المؤمنون: ١١٠).

القراءات: (سخريا) قرأ نافع وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف بضم السين (سُخريا) من السُخرة والاستعباد، ودل على هذا المعنى اتفاق القراء على ضم السين في (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) (سورة الزخرف:٣٢)، وقرأ الباقون بكسرها (سخريا) من السخرية والهزء واللعب ولذا قال بعدها (وكنتم منهم تضحكون) وقيل الضم والكسر لغتان لا فرق بينهما في المعنى (الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٥/٣٠٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التفاؤل عنوان السعادة

إعداد: الشيخ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد: فإن الفأل، والحسن منه خاصة، كان من الأمور التي تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستبشر بها، لذا كان من الجدير بالإيضاح أن نبين عدة مسائل تتصل بالفأل:

أولاً معنى الفأل:

١- الفأل في اللغة العربية: تفاءل الشّخصُ من الشّيء: استبشر خيرًا، عكسه تشاءم"، استعداد نفسيّ يهيّئ لرؤية جانب الخير في الأشياء والاطمئنان إلى الحياة "معجم اللغة العربية المعاصرة (١٦٦٠/٣)

٢- تعريف الفأل اصطلاحا: الفأل هو الكلمة الصّالحة أو الكلمة الطيّبة أو الكلمة الحسنة، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ" صحيح مسلم (٢٢٢٤).

٣- الفأل: كل ما يُنشط الإنسان على شيء محمود، من قول، أو فعل مرئي أو مسموع. (القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٣٥/١).

ثانيا: من فوائد التفاؤل:

(١) حسن الظنّ بالله تعالى: قال تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الصافات: ٨٧): أي فما معتقدكم في رب العالمين؟ وما تصوركم له؟ وما حسابه عندكم؟ (التفسير القرآني للقرآن (٩٩٦/١٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي". البخاري (٧٥٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) التفاؤل يجلب السّعادة إلى النّفس والقلب:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» صحيح البخاري

(٥٧٧٦) صحيح مسلم (٢٢٢٤).
قوله: "ويعجبني الفأل": أي: يسرني، والفأل بينه بقوله: "الكلمة الطيبة"، فـ"الكلمة الطيبة" تعجبه صلى الله عليه وسلم، لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط، والمضي قدمًا لما يسعى إليه الإنسان، وليس هذا من الطيرة-أي التشاؤم- بل هذا مما يشجع الإنسان؛ لأنها لا تؤثر عليه، بل تزيده طمأنينة وإقدامًا وإقبالاً. (القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٢٥/١).

(٣) التفاؤل اقتداء بالأسوة الحسنة نبينا صلى الله عليه وسلم: حيث كان يتفاءل في حروبه وغزواته. (نضرة النعيم (١٠٤٩/٣).
ويتفاءل صلى الله عليه وسلم وفي كل أحواله: قال تعالى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١). هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله. (تفسير ابن كثير (٣٩١/٦).

ثالثًا: من فوائد التفاؤل في الآخرة مثلاً:

١- الوقاية من عذاب النار: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» صحيح البخاري (٦٠٢٣).
٢- دخول الجنة بغير حساب: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فَقَالَ:" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ " فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» صحيح البخاري (٥٧٥٢).
قوله صلى الله عليه وسلم: (هم الذين لا يتطيرون) يعني: لا يتشاءمون لا بمرئي، ولا بمسموع، ولا بمشموم، ولا بمذوق، يعني: لا يتطيرون أبدًا، (لا يسترقون) أي: لا يطلبون من أحد إن يقرأ عليهم إذا أصابهم شيء؛ لأنهم معتمدون على الله، ولأن الطلب فيه شيء من الذل، لأنه سؤال الغير، وقوله: (ولا يكتوون) يعني: لا يطلبون من أحد أن يكويهم إذا مرضوا، لأن الكي عذاب بالنار، لا يلجأ إليه إلا عند الحاجة.(شرح رياض الصالحين (٥٥٠/١).

رابعًا: كيف أنشر التفاؤل؟

١- أكثر من الكلمات الحسنة الطيبة: قال تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» (البقرة: ٨٣).
-عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ "صحيح البخاري (٥٧٥٦).
- ظاهر الحديث: الكلمة الطيبة في كل شيء؛ لأن الكلمة الطيبة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سببًا لخيرات كثيرة، حتى إنها تدخل المرء في جملة ذوي الأخلاق الحسنة. (القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٢٥/١)
٢- كن دائم البشارة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا» صحيح البخاري (٦٩) وصحيح مسلم (١٧٣٣) قال: (وبشروا) بشروا يعني اجعلوا طريقكم دائمًا البشارة، بشروا أنفسكم وبشروا غيركم، وهذا يؤيده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره الطيرة ويعجبه الفأل. صحيح الجامع (٤٩٨٥).
لأن الإنسان إذا تفاءل نشط واستبشر

وحصل له خير، وإذا تشاءم فإنه يتحسر، وتضيق نفسه، ولا يقدم على العمل، ويعمل وكأنه مُكره (شرح رياض الصالحين (٣/٥٨٩).

٣- الإيمان بالقدر:

عَنْ أنس، قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ، مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لاَ، قَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ.. صحيح مسلم (٤/١٩٠٩) رقم (٢١٤٤)، وزاد في صحيح البخاري (١٣٠١).. فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ. أي قولاً حسنًا وهو حث بليغ على طيب الأخلاق والقول الحسن: يجمع سائر الفضائل، وبه تنبعث المحبة من القلوب، وله تطمئن النفوس، وبه تختفي الإحن، وتذهب حزازات الصدور. أوضح التفاسير (١/١٥)

وفي التفاؤل: انشراح قلب الإنسان وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب.(نضرة النعيم (٣/٤٦: ١).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلاَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ» صحيح ابن حبان (٦٣٩)، صحيح الجامع (٤٣١٥).

التفاؤل بالكلمة الطيبة: كأن يكون الرجل مريضًا فيسمع من يقول: يا سالم. فيؤمل البرء من مرضه.

مناسبة ذكر الحديث في الباب: أن فيه بيان أن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها.

ما يستفاد من الحديث:

١- إن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها.

٢- تفسيرُ الفأل.

٣- مشروعية حسن الظن بالله والنهي عن سوء الظن به.

الفرق بين الفأل والطيرة:

١- الفأل يكون فيما يسر.

٢- الفأل فيه حسن ظنٍّ بالله، والعبد مأمورٌ أن يحسن الظن بالله.

٣- الطيرة لا تكون إلا فيما يسوء.

٤- الطيرة فيها سوء ظن بالله، والعبد منهيّ عن سوء الظن بالله.

وظاهر الحديث: الكلمة الطيبة في كل شيء، لأن الكلمة الطيبة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سببًا لخيرات كثيرة، حتى إنها تدخل المرء في جملة ذوي الأخلاق الحسنة. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٢٥)

التفاؤل يساعد على تحمل مصاعب الحياة:

قال الماورديّ: فأمّا الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث على الجدّ، ومعونة على الظفر؛ فقد تفاءل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزواته وحروبه. وروى أبو هريرة «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمع كلمة فأعجبته، فقال: أخذنا فألك من فيك» نضرة النعيم (٣/١٠٤٥).

من فوائد التفاؤل:

(١) حسن الظّنّ بالله تعالى.

(٢) يجلب السّعادة إلى النّفس والقلب.

(٣) ترويح للمؤمن وسرور له.

(٤) في الفأل تقوية للعزائم ومعونة على الظّفر وباعث على الجدّ.

(٥) في التّفاؤل اقتداء بالسّنّة المطهّرة وأخذ بالأسوة الحسنة حيث كان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يتفاءل في حروبه وغزواته. نضرة النّعيم (٣/١٠٤٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمِعَ كَلِمَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَقَالَ: «أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ» سنن أبي داود (٣٩١٧)، صحيح الجامع (٢٢٥).

كلامك الحسن أيها المتكلم (من فيك. الفأل أن تسمع الكلمة الطيبة فتتيمن بها). فيض القدير (١/٢١٢).

والحمد لله رب العالمين.

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد
www.magalet-eltawheed.com
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلاً من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513